

**يسوا رجالاً**

جميع الحقوق محفوظة  
الكتاب: ليسوا رجالا  
تأليف: تحسين كرمياني  
الطبعة الأولى: ٢٠١١  
تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين



**رند**

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق / جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠ - ٠٠٩٦٣

Email: [akramaleshi@gmail.com](mailto:akramaleshi@gmail.com)

**تحسين كرمياني**

# **ليسوا رجالاً**

**قصص قصيرة**



## مزرعة الرؤوس

ما أن دخل القصبّاب (عبد الله) إلى دكانه ، شعر بوقع خطوات منتظمة تتبعه ، وقف وتعوذ من الشيطان ، وهو يستذكر إصرار جاره (جار الله) ، يوم أنبأه بحكاية أشخاص غرباء يأتون كل فجر ، يرتدون ملابس مرتبة ، واحد منهم فقط يتقدم منه ، يلقي سؤاله قبل أن يتواروا ، يأتون قبيل أذان الصبح ويحتفون بلمح البصر ، يسألون عنه دون أن يضيفوا كلاماً آخر ، بادئ ذي بدء لم يعر كلام رفيقه القصبّاب أذناً صاغية ، فهو وحيد مقطوع من شجرة انتهت أوراقها التناسلية ، برحيل والديه قبل سنوات طويلة ، ليس له أقارب في البلاد كلّها ، محا من ذاكرته كلام جاره ، قبل أن يفاجئه نفس الكلام ، يكرره جاره الآخر القصبّاب (سعد الله) ، شغله الأمر طويلاً ، قبل أن يتخذ قراراً مؤقتاً ألزم نفسه بتأخير فتح دكانه حتى طلوع الشمس ، شغلته قضية الغرباء لعدة ليالي ، توصل إلى قناعة تامة ، أنّ صاحبيه حاكما خيوط لعبة ماكرة حوله ، كي يستحوذا على أرزاق الفجر ، كون الناس في البلدة تعودت أن تشتري اللحم صباحاً ، بعد خروج المصلين من الجامع الوحيد الذي يحاذي المقبرة القديمة ، لعن رفيقيه علناً في مشادة كلامية حضرها جمع غفير من

المصلين ولولا تدخل الملا (أبو حارث) لتحولت المشادة إلى ضربات بالسكاكين ، والسواطير التي ارتفعت تحت سورات الغضب ، انتظرت لحظات فقدان الوعي عند أحدهم ، سوى الملا (أبو حارث) القضية فيما بينهم وعادت المياه مجاريها كما يذهب القول ، لكن (عبد الله) القصاب ظلّ يقرأ في عيون صاحبيه أشياء غامضة ، لم يتوصل إلى تفسيرها ، ظلّ يكظم غيظه ، ويطحن اعتمال الظنون في نفسه ، أتخذ قراره وعاد لسابق طبيعته ، التبكير في فتح دكانه ، كما كان يفعل قبل أذان الفجر بوقت طويل...!!

\* \* \*

في تلك اللحظة توقف يستطلع الأمر ، شعر بخوف يسري في عروقه ، جمده وهو يعطي ظهره للظلام المتكاثف وراءه ، مرت الدقائق ثقيلة ، وهو يحاول أن يستطلع الأمر بذهن تشوش مع دخوله الدكان ، لحظة تناهى لسمعه وقع أقدام تمشي بإيقاع منتظم وراءه ، لم تكن الإيقاعات المنتظمة محض وهم ، سمعها جيداً تقصده وهو واقف داخل دكانه ، مسك قبضة الساطور بقوة ، قرر أن يواجه القضية التي شغلته منذ أشهر بصلافة وحكمة إن تطلب الأمر ، ما أن استدار وجد أربعة عسكريين غرباء الشكل والملبس ، ببدلات مرتبة ، معهم شخص مقيد اليدين ، تقدم أحدهم من (عبد الله) المأخوذ برعب المشهد..قال بصوت نادر:  
. أنت (عبد الله) القصاب...!!

هز رأسه ناحتاً عينيه في رجل مزجج العيون تبرق بأشعة  
حمراء...!!

أردف الرجل العسكري:

- ليس لدينا وقت ، قم بذبح هذا الشخص...!!

خال القضية مزحة ، أطلق ضحكته العالية بعدما تحرر من  
الخوف كله ، بينما العيون الحمر ظلّت ترشقه بشرر القرار الحاسم ،  
من غير أن تتحرك الألسن أو يمتنع الشخص الضحية.قال:  
- كيف أذبح هذا..أنه بشر وليس بكبش أو بقرة كي أنخرها.  
- هيا أذبحه ، لا وقت لدينا. (صاح العسكري الذي كان يقف  
أمامه).

- أنتم تمثلون (كاميرا خفية) أليس كذلك...!!

تقدم العسكري ورفع ساطور آخر من فوق خشبة تهشيم  
العظام ، رفعه فوق رأس (عبد الله) ، تحجرت عيناه وهو يتوسل  
بجركات مفعمة بالهلوسة...!!

صاح العسكري ثانية:

- ستذبحه أليس كذلك...!!

لم يفلح في التخلص منهم ، لم ير مصلي واحد كي يستصرخه  
لنجدته ، لقد بكر النهوض أكثر مما كان يفعل سابقاً ، كي يهيا  
الذبائح للزبائن ، فاليوم (عرفات) ، غداً (عيد الأضحى المبارك) ،  
ستخرج الناس لتسوق باكراً ، لم يجد متسعاً من الوقت كي يشعر  
أن الذي يحدث أمامه ، مجرد مسرحية هزلية دبرها ناس لا

يكثرثون ، مستغلين حكاية الغرباء التي مضت محطة تندر بين الناس ، كي يجعلوا منه رجل هزأة آخر يضاف إلى قائمة ضحايا الزمن في بلدة بائسة ، ناسها ما تزال تلبس ثوب القرون العتيقة ، خضع أخيراً تحت تأثير قوة خرقت أرادته ، ودحرجته ضحية يائسة ، مطيعة ، تقدم من الشخص الصامت ، كان يرمقه بعينين لم يجد فيهما توسل أو طلب رحمة ، تمدد أمامه برغبة ويقين على عتبة باب دكانه ، وقف العسكريون الأربعة حول الضحية ، اثنان في كل جانب ، تناول (عبد الله) سكينه ، قبل أن يهوي على الرقبة الناصعة لفصلها ، كما يفصل رؤوس الأبقار والكباش ، مسك أحدهم معصمه.. قال:

. حد شفرة سكينتك!!!

سحب المبرد المتهدل بخيظ مربوط بجزامه الجلدي العريض ، حد سكينته ، وحين تأكد من الشفرة بملامسة من إبهامه ، برك وقطع الرأس كما يقطع رؤوس الأبقار والأغنام ، في تلك اللحظة عادت روحه ، شعر بأنه يهوي إلى ظلمات سحيقة ، وقف يرتجف أمام جسد لم يرفس كما ترفس الأبقار المنحورة ، ظلّ الرأس المقطوع فاتحاً عينيه ، وثغره يطلق بسمة خالدة تنم عن رضا وعرفان وشكر ، بينما العسكريون الأربعة ظلّوا واقفين يتمتمون كلمات مبهمة ، استدار (عبد الله) وتوجه نحو صنوبر الماء داخل دكانه ، راح يزيح الدم المتجلد من يديه ، والقطرات التي تراشقت على صدره الخام ، لحظ استدار كي يتأكد من صدق القضية ، لم يعد هناك



أحد ، بادئ ذي بدء خال أنهم حملوا الضحية ورحلوا ، خرج ووقف في مكان الذبح ، لم يجد هناك أثراً لدم ، هز رأسه فسقطت عمامته ، برك ليرفعها وهو يتعوذ من الشيطان ، تمنى أنه سقط ضحية كابوس ثقيل ، نجم جرّاء تلك المشادة (الفجرية) وما ترتبت من حكايات على لسان جاريه (سعد الله - و- جار الله) بخصوص الغرباء العسكريين الأربعة المزعومين...!!

\* \* \*

شرح صمت الظلام مؤذن الجامع ، بصوت ناعم ظلّ يتموج بين طيات الظلام إلى مسافات قصية ، شعر (عبد الله) بتنمل غريب يسري في بدنه المترهل ، دافع شعوري غريب يحركه مع الصوت الودود ، شعر أنه بحاجة إلى صلاة جماعية ، كي يتخلص من وزر الإثم الذي أرتكبه في فجر يوم غير عادي ، راغباً أن يطرد الظنون والهواجس من بدنه ، كي يطمأن قلبه ، معتبراً أن الحكاية لم تكن سوى محض كابوس باغته في لحظة لا شعور ، لم يحصل فيما سبق أنه أدى فريضة واحدة جماعية في مسجد البلدة ، تيمناً وفق مقولة شائعة:

- (القصابون سيتردهم الله من الفردوس ، كونهم يذبحون الحمير ويخلطون لحمها مع لحوم الأبقار)...!!

تلك المقولة شاعت يوم تم ألقاء القبض على ثلاثة قصابين في البلدة ، متلبسون بذبح الحمير ، أكتشف ذلك رجل من البلدة سبق أن ذاق (كباب) لحم الحمير في مطعم شهير في العاصمة ، عرف

ذلك حين أشتهى أن يتناول ذلك (الكباب) الذي يتباهى بمذاقه كلما جلس بين تجمع ، ذهب ليراجع دائرة التقاعد بسبب تأخير راتبه اليسير ، حن لمذاق (الكباب) الذي أشتهر فجأة واندفعت الناس يتزاحمون على ذلك المطعم بشكل جنوني ، وجد يافطة مهبورة بجتم (لجنة الرقابة الصحية) ، تفر بغلق المطعم كون صاحبه كان يذبح الحمير السائب في الأزقة ، ذلك الرجل وجد اللحم الذي يشتريه من قصابين ثلاثة في البلدة ، يشتركون في محل كبير له ذات المذاق الذي ظلّ محفوراً في ذائقته الغريزية ، قرر أن يتربص بالقصابين حتى أكتشف أنهم ينحرون الحمير ليلاً ، أشتكى لدى الشرطة ، تم نصب كمين ليلى وضبطهم متلبسون بالجريمة!!

\* \* \*

توضأ (عبد الله) ومشا وحيداً ، خاشعاً يستغفر ويبسمل في محاولة طرد الظنون التي تلبسته في صباح (عرفات) ، دخل المسجد على استحياء تام ، بدأت العيون تنهال عليه باستغراب ، سمع صوت أحدهم وهو يحاور صاحبه:

. لقد هداه الله بعد تقريعات الملا (أبو حارث).

أجابه الآخر:

. لا أعتقد ذلك بدأ يخاف من حكاية الغرباء العسكريين.

لم يعر كلامهم اهتماماً ، جلس في ركن بعد أن تناول مصحفاً وراح يترنم بصوت مكبوت ، تناهى إلى سمعه صوت آخر:

. الملعون يتظاهر أنه يعرف القراءة...!!

أدى صلاة الفجر مع الجماعة وعاد إلى دكانه ، وجد (جار الله) جالساً ، تقدم منه وعانقه ، تبادلوا العناق الحار.ق ال (عبد الله):

. لا تؤاخذني يا أخي لقد ركب الشيطان رأسي.

. لا داعي يا أخي ، الدنيا هذه الأيام كلّها مشاكل ، ونحن جزء

من هذه الدنيا المغبرة.

. قل لي يا أخي ، هل حقاً هناك غرباء يسألون عني.

. لم لا نترك هذه القضية ، كادت أن توقع بيننا.

. ولكن أريد أن أتأكد من ذلك.

. يا أخي كانوا أربعة عسكريين غرباء أتوا لمرات عند الفجر ،

واحد منهم فقط كان يسأل عنك.

. ألم يأتوا بعد.

. لم يعد يأتوا منذ يومين.

هز رأسه ودخل دكانه ، راح يشغل نفسه بتقطيع اللحم ، وعزل

الشحم ، لم تفارق عيناه تلك البقعة التي نام عليها الضحية ، وقام

بفصل رأسها قبل ساعة واحدة...!!

ظلّ (عبد الله) واجماً ، يريد أن يستوعب الذي جرى ، هل حقاً

قام بذبح إنسان ، حاول أن يقنع نفسه بأن الذي حدث مجرد حلم

يقظة ، باغته في لحظة فقدان رشد ، جراء ما يحاك من حكايات

صاغها لساني (سعد الله - و. جار الله) ، لقد نال التعب منه ، بعدما

باع ما ذبح من أبقار وكباش ، وعاد إلى البيت لينزوي في وحدانيته ،

أراد أن ينام باكراً ، وينهض باكراً لأداء أول صلاة عيد في حياته ، كي يبخر ما أختلط بدمه من خمور وشراب ، فهو بلا زوجة تشاركه الفراش وتخفف عنه ألم الليل ، أربعة نساء هربن منه ، يعرف نفسه حيوان بهيئة بشر ، لا تحتمله النساء ، واحدة هربت من فحيحه الليلي ، وهو يرقد على جسدها الضئيل ، انفصلت منه بعد عام وشهرين من الزواج ، دون أن تنجب منه ، أمّا زوجته الثانية كانت امرأة مطلقة هربت من عنفوانه وسكره المتواصل بعد ثلاثة أشهر ، قيل أنها عشقت عسكرياً شاباً دخل سوق البلدة ذات ظهيرة ، رأته وصعدت معه إلى مركبته الخصوصية ومن يومها لم تعد ، أمّا زوجته الثالثة بقت سنتين تحته قبل أن يداهما مرض تناسلي فتك بها ، ظلّ لسنتين بلا زوجة قبل أن يجد بائعة لبن ، امرأة (معيدية) سمعت بفحولته ، وقررت أن تخوض اللعبة معه ، وجدت نفسها راقدة طوال الليل ، رجل ضخم الجثة ، يمتلك فحولة نادرة ، يسكر ويتناولها في أول الليل وحتى بيان الخيط الأبيض ، يتركها ويذهب إلى دكانه ، سئمت رائحة الخمر واللحوم والشحوم العالقة بجسده ، هربت منه ، بقى من غير أن ترضى به واحدة رغم تواجد الكثير من المطلقات وأرامل الشهداء في البلدة الصغيرة...!!

\* \* \*

عند المساء يعود (عبد الله) لا يبارح منزله ، ينام باكراً كي ينهض باكراً ، لكنه وجد نفسه يسهر مذ جاءه العسكريون الأربعة



- يا (عبد الله) أنت بلا زوجة جئنا لنشهد على زواجك من هذه  
الأميرة.

- أنا.. لا.. لا.. أنكم تمثلون معي.

قالت المرأة:

- قل يا (عبد الله) لم تهابك النساء.

- لا.. لا.. ليس هذا صحيحاً ، أنا أحب أن أكون وحيداً.

قال العسكري:

- يا (عبد الله) قل الحقيقة قبل أن نلجأ إلى استخدام قوتنا معك.

- حسناً أنهن لا يهتملنني.

قالت المرأة:

- أنا سأحتملك ، زوجتك نفسي يا (عبد الله) وهؤلاء شهداء

على زواجنا.

ليس ثمة بد ، كان (عبد الله) يخضع لتلك القوة السرية ، تباعته  
وتجعله قشة طائعة للرياح ، في تلك اللحظة انسحب العسكريون  
الأربعة مثلما جاءوا ، بقى واقفاً لم يتحرك قبل أن تلقي المرأة  
الثلجية أسماها ، وتنير البيت بجسدها ، أفنعتة بتوسلاتها السحرية ،  
رضخ لرغبتها ، طرح أسماها وعاشا بقية الليل فحيحاً وأهات ،  
تعب من النشاط الجسدي وغط في نوم عميق بعدما تعانقا معاً ،  
كور جسدها الثلجي بين أحضانه وقفل عليها بساعديه ، قبل الظهر  
قام (عبد الله) من السرير ، وجد نفسه عارياً ، حاول أن يعرف ما  
الذي جرى له ، قام وفتش غرف البيت ، لم تكن هناك امرأة كما

حدث له ما حدث ، متأكداً أنه عاش ليلة لم يعيشها من قبل ، ها هي آثارها واضحة على جسده ، لقد ضغط بوحشيته عليها وحاولت أن تتخلص منه ، لقد نشبت أظفارها وأدمت جسده ، أزاح خطوط الدماء اليابسة من على صدره ، أغتسل بالماء البارد وخرج إلى السوق ليتبادل تحية العيد مع الناس ، ويلتحق بصلاة الظهر بعدما ضاعت منه صلاة الفجر...!!

\* \* \*

عاد (عبد الله) إلى دكانه ، باغته العسكريون الأربعة ، سحلوا معهم ضحية ثانية ، رجف جسده ، همّ أن يبطش بهم بعدما شدد على قبضة الساطور ، لكن العسكري الذي يعرفه تقدم منه محذراً: . إياك أن تفكر بذلك ، سنبطش بك...!!

خضع لتلك القوة المباغته ، فصل رأس الجسد الممدد ، قام وهو يشعر بالزهو كما لو أنه تخلص من رأس بقرة عنيدة..باغته العسكري:

. الأميرة ستأتيك هذه الليلة.

. الأميرة.

. لقد زوجناك أميرة منّا تثنياً لخدماتك العظيمة لنا.

. من أنتم.

. ليس هذا من شأنك ، أنت تطيع ولك ما تريد.

سحب نفساً عميقاً ، لحظة ذهب ليغتسل أنسحب العسكريون

الأربعة وبصحبتهم الجسد المنحور ، غسل (عبد الله) يديه ووقف  
أمام الدكان ، هز رأسه وهو يقول:  
. كابوس كبير متى أتخلص منه.  
في تلك اللحظة أذن المؤذن ، توضأ (عبد الله) وتوجه إلى  
الجامع..!!

\* \* \*

مرت الأيام ، مرت الأشهر ، (عبد الله) كل صباح يذبح ضحية ،  
يغتسل ويتوضأ ويذهب إلى الجامع ، لكن لا أحد يشتري منه  
اللحم ، ظلّ اللحم يفسد ويقوم سراً بدفنه خلف مقبرة البلدة ،  
عرف العسكريون الأمر ، جاءوا ذات فجر ومعهم ضحية وكيس  
نقود ، ذبح ضحيتهم وتناول كيس النقود..قال له العسكري المخوّل  
بالنطق:

. عرفنا بقضيتك ، قررنا أن نكافئك على خدماتك لنا.

صار (عبد الله) يذبح ويغتني ، لا أحد يشتري منه اللحم ، يدفن  
كل يوم ذبيحة تفسد بعد يوم من نحرها وراء مقبرة البلدة ، دغدغته  
فكرة ذات يوم ، بدت الفكرة معقولة ، قرر أن لا يذبح ذبائح ، طالما  
اللحم لا يشتريه الناس ، يذهب بعدما يفسد إلى التراب ، تفاجأ  
بقول العسكري:

- إياك أن تخدعنا ، أنت تذبح وتدفن ، نحن نتكفل أثمان

ذبائحك..!!



كل ليلة تأتي الأميرة الثلجية ، بهيئة مغايرة ، بشكل أبهى وأجمل ، تنير ليله بأنس فوق العادة..تقول له كلما تدخل عليه البيت:

- أنا زوجة الرجل الذي ذبحته هذا الصباح.

قال لها ذات ليلة:

- من أنتم.

- ليس بوسعك أن تعرف من نحن.

- ألسنت زوجتي.

- في الليل فقط.

- ما هو أسمك.

- لا يتوجب عليك أن تعرف أكثر مما هو الحدود المسموحة

بيننا ، حدود الجسد.

- ماذا تعملون بالضحايا.

- لا تسأل عن أشياء خارج حدود وعيكم المحدود...!!

قال له (جار الله) ذات يوم:

- يا(عبد الله) ، وجدنا لك امرأة ترضى بك.

- وهل بقى في العمر ما يكفي امرأة خامسة.

- هي بحجمك ولها سمعة طيبة.

- حسناً علينا أن نشترط عليها شروطي.

- ليس من المعقول أن يشترط الرجل على امرأة رغبت أن تهب

نفسها له.

. لا أريدها أن تفرن كما فررن من قبلها النساء.

. تلك قضية داخلية عليك أن تعاملها بما يناسبها ويستبقها.

في تلك الليلة جاءته الأميرة الثلجية غاضبة ، رفضت أن تشاركه  
الفراش ، توسل عبد الله..قالت له:

. ويحك أتستبدلني بامرأة فانية.

. ومن قال هذا.

. أنا أعيش معك ، أنا أسكن كيانك.

. حسناً سأبعد الفكرة من بالي.

. أريد منك موثقاً.

. أي شيء تطالبه سألبيه حتى لو طلبت مني ذبح العالم كله.

. لا.. لا.. لا.. دعك من العالم ، العالم مذبوح منذ فترة طويلة ،  
فقط أريد قطع إبهامك اليمين كدليل على إخلاصك لي.

تناول سكيناً وبتري إبهامه ، لفه بقطعة قماش وناولها لها ، دنت منه  
وتعرت ونامت بين أحضانه حتى مطلع الفجر..!!

صار(عبد الله)مقطوع الإبهام ، سأله(سعد الله) عن ذلك.. قال له:

. كنت في لحظة فقدان رشد وبترت إبهامي.

. كنت في الغروب سليماً لحظة قفلنا الدكاكين ومشينا معاً.

. أه..أنني بترته سهواً في البيت.

ظلّ(سعد الله) يهز رأسه وهو يستفهم نفسه ، وكان (عبد الله)  
ينهمك بتقطيع الذبيحة التي هيأها للناس ، قبل أن يدفنها في اليوم  
التالي..!!



حصانية تتحصن في جسده ، عاد لعمله وراح كل فجر يمارس نشاطه ، يدفن اللحم الفاسد ويعود ليتهاً لذبح ضحية جديدة قبل أن يذهب لصلاة الجماعة...!!

\* \* \*

فجأة صار (عبد الله) يهذي ، يقف ويحاور نفسه ، وجدته الناس في حالة يرثى لها ، الصبيان بدءوا يرشقونه بالحجر ، لم يعر بالأهم ، ظلّ يمشي بين البساتين ليلاً ، ويجلس على المقبرة لساعات طويلة ، لم يعد يذهب لصلاة الجماعة ، لقد أنقطع عنه العسكريون الأربعة ، ولم تعد الأميرات الثلجيات يأتين إليه في الليل ، ساءت حالته ، حاول صديقه (جار الله . و- سعد الله) أن يسعفه من حمى الهذيان والسهر ، أخذه إلى سيد البلدة ، أبقاه ليلة في الديوان مربوطاً إلى النافذة ، أعادوه إلى البيت ، ظلّ يخرج في الليل ، ويذهب إلى دكانه ، يجلس في انتظار العسكريين الأربعة ، ينقضني الليل ويأتي الفجر وتصعد الشمس إلى كبد السماء ، و(عبد الله) وحيداً يجلس ينتظر دون جدوى...!!

\* \* \*

ذات ليلة صعدت الناس إلى أسطح المنازل ، راحت تستطلع حكاية الفوضى الحاصلة خلف المقبرة ، أصوات كلاب تنبح ، تتقاتل بشراسة حتى الصباح ، لا أحد يعرف من أين أتت هذه

الكلاب الكثيرة ، في الصباح قرر بعض الرجال أن يضعوا حداً للكلاب بعدما تسلحوا بينادقهم القديمة ، وجدوا مئات الكلاب جائئة في معسكرين متضادين ، شعروا برهبة جماعية ، قرروا العودة توخياً للعواقب غير المحمودة ، مضت الكلاب تتقاتل ليلاً ونهاراً والناس بدأت تتحصن ، تتسلح بما لديها من أسلحة خشية مدهامة الكلاب البلدة..

ظلّ (عبد الله) مسكوناً في عالم يجهله الناس...!!

\* \* \*

ذات ليلة هبّت ريح مباغته ، أتت من وراء المقبرة ، حملت نتانة لا تحتمل ، قاعت أفواه الناس ما أكلت في العشاء ، بدأت أصوات الأفواه وهي تطلق صيحاتها ، خرجت سيارة إطلاق الدخان الخاصة بمكافحة البعوض ، راحت ترش في أزقة البلدة دخان مبخور بعدما وضعوا معه ، روائح ومطيبات جو ، خدرت الأجساد للرائحة ، وفي الصباح صار الحديث كلّه حول الكلاب والمقبرة ، تيقن الناس أن الكلاب بدأت تخرج أجداث موتاهم ، تعاهدوا فيما بينهم على مكافحة الكلاب بكل ما لديهم من وسائل قاتلة...!!

\* \* \*

سبقت صيحة امرأة صولة الرجال ، لحظة وجدت أبنها يحمل رأساً بشرياً وهو يركض باتجاه البيت ، فقدت المرأة الوعي لحظة رأت

الرأس فاتحاً عينيه ، سكبوا عليها ماء (النعناع) ، قربوا من أنفها  
رأس بصل مفلوق ، فتحت عينيها..قالت:

- أين هو...!!

- من...!! (أجنبها النساء)

- أبنّي.

- ساقته الشرطة.

- لم..الشرطة.

- يخبرهم على مكان الرأس...!!

\* \* \*

اكتشفوا مزرعة للرؤوس البشرية ، رؤوس كلّها بلا أجساد ،  
منحورة ومدفونة بطريقة متشابهة ، مئات من الرؤوس تم رصها  
كأكوام فواكه ، تم التوصل إلى مزرعة أخرى جنبها ، كلّها لحوم  
حيوانات مسلوخة تم دفنها بعشوائية ، انشغلت البلدة بالحدث الجلل  
ليومين متتالين ، دون أن يتمكن واحد منهم أن يصل إلى تفسير  
مقنع للحدث...!!

\* \* \*

قال الملا (أبو حارث) للناس:

- علينا أن ندفن الرؤوس في مقبرة (البلدة)وفق الأصول

الشرعية...!!

قطع بكلامه دابر كل حديث تناثر من البعض حول مكان  
دفنها ، بعدما شاعت أحاديث حول البلاء المنتظر وراء الحادثة ،  
بعضهم قال:

. (علينا حرقها)!!!

أعدوا الخطب للحرق ، قبل أن يتدخل الملاً (أبو حارث) وينهي  
القضية بخطبة قصيرة على الناس المتجمهرين ، تم نقل الرؤوس  
بعربات الدفع في تجمع شعبي كبير ، كانت النساء من فوق أسطح  
البيوت يطلقن ولولات وصيحات في قيامة غير مسبوقه ، وصلوا إلى  
المقبرة ، وقف الحشد البشري بذهول ، كانت الألسن تلهج سؤالاً  
واحداً:

. ياترى رؤوس من هذه!!!

تم حفر خمسمائة حفرة في عشرة أنساق متقابلة ، دفنوا أربعمائة  
وتسعة وتسعين رأس ، بقت حفرة واحدة ، أراد أحدهم ردمه ،  
نهره الملاً (أبو حارث):

. أتركه ربما هناك رؤوس آخر!!!

قبل أن يتم عملية الدفن أنتبه (عبد الله) الذي جرفته طوابير  
الناس الزاحفة ، أن عيون الرؤوس كلها انفتحت ورشقته بنظرة  
متوحدة غريبة!!!

\* \* \*

قرر (عبد الله) أن يفتح دكانه ، بعدما شفي من شروده ، أشتري

بقرة وربطها في البيت ، وفي الفجر قاد البقرة إلى الدكان ، بينما كان يهياً سكينه هربت البقرة من أمامه ، راح يمشي وراءها ، كانت البقرة تمشي تارة وتقف تارة وهي تنظر إلى (عبد الله) وهو يشهر ساطوره بيد وفي يده الثانية سكيناً كبيرة ، طلعت الشمس ومازال (عبد الله) يحاول أن يقنع بقرته بالتوقف ، تعب وغامت الدنيا في عينيه ، لم يجتمل أكثر مما أحتمل ، أطلق صرخة داوية وراح يركض وراء البقرة التي دخلت زقاقاً موصلد النهاية ، فجأة شعر (عبد الله) بأنه مسك بقرته ، قرر أن ينحرها فوراً خشية أن تهرب ثانية من بين يديه ، تناهت صرخة طويلة مصحوبة بعويل طويل ، خرجت الناس من البيوت ، ركضوا وانهلوا على (عبد الله) جرجروه وهو يصرخ ويهذي:

- دعوني أذبحها..دعوني أذبحها!!!

\* \* \*

أعترف (عبد الله) بما جرى له ، لحظة تم تسليمه إلى الشرطة ، وهو متلبس بذبح امرأة خرجت لتجلب الفطور لأطفالها ، نجت في اللحظة الأخيرة من شفرة السكين ، لكن (عبد الله) لم يعيش في السجن سوى ليلة واحدة ، وجدوا في الصباح رأسه فقط ، من غير جسده الضخم ، ينظر نظرة ظافرة بعينين لا تنغلقان ، وبسمة خالدة منحوتة على ثغره ، لا أثر للدماء ، ليس هناك أثر لسكين ، عجزوا أن يصلوا إلى الفاعل وكيفية ذبحه من غير خروج قطرة دم واحدة ،



وأين هو جسده ، تحروا من باب السجن الحديدي وجدوه مغلقاً  
بالقفل الكبير ، تم طي القضية كاملة بعدما عجزت الشرطة بيان  
ماذا جرى ، وضعوا رأسه في عربة دفع ، ساقوه بمسيرة شعبية ذاهلة  
إلى المقبرة ، دفنوه مع الرؤوس المقطوعة ، في تلك الحفرة رقم  
خمسمائة والتي أبقاها الملاً (أبو حارث) مفتوحة يوم الدفن  
الكبير...!!

\* \* \*

من يومها صارت البلدة تنشغل بقضية الرؤوس المقطوعة ،  
وأكوام اللحوم المدفونة بعشوائية وراء مقبرة البلدة ، وحكاية الكلاب  
الكثيرة التي غزت وتجحفلت حول المقبرة ، وعلاقة القصاب  
(عبد الله) بتلك المرأة التي أراد ذبحها ، من ذبح (عبد الله) وأين  
اختفى جسده الضخم ، كيف اهتدى الطفل للرأس البشري  
المفصول ، رغم أنه سرد حكايته لمرات كثيرة:

- كنت أركض خلف الكرة التي قذفتها بركلة من قدمي  
وسقطت وراء المقبرة ، حملت الكرة وركضت لحظة رأيت كلاب  
كثيرة مثل الدود تقف ، تنظر إليّ هازة أذنانها ، وحين وصلت قرب  
البيت رأيت في يدي رأس بشري...!!

\* \* \*

أمّا حكاية العسكريين الأربعة الغرباء ، لقد أقسم البعض أنهم

وأوهم يدخلون مركز الشرطة فجر ليلة القبض على (عبد الله) ، كانوا يمشون بنسق منتظم ، دخلوا إلى مركز الشرطة ، لكن لم يقسم أحدهم أنه رآهم يخرجون ، رغم أنهم تربصوا طويلاً وأضاعوا فرصة أداء فريضة صلاة الجماعة ، قبل أن تباغتهم صرخة الشرطي الحارس ناقلاً إليهم ، فاجعة فصل رأس (عبد الله)!!

\* \* \*

ناس تتجمهر حول الطفل الذي وجد الرأس ، ناس تبحث عن القصبّين (جار الله - و . سعد الله) ليستفسروا مراراً وتكراراً عن العسكريين الغرباء الأربعة ، كانا يعيدان الحكاية على مسامع السائلين من غير تعب أو ملل ، لم يجدا غير موجز غامض ظلاً يكررانه على كل حشد قادم:

- كانوا أربعة عسكريين غرباء منتظمين ، يأتون فجر كل يوم ، قبيل أذان الصبح ، واحد منهم فقط يسأل عن (عبد الله) القصبّ ، قبل أن يتواروا بلمح البصر ، انقطعوا عن المجيء منذ بدأ (عبد الله) بترك شرب الخمر ، والذهاب معنا لصلاة الجماعة!!

\* \* \*

سؤال واحد ظلّ غائباً عن البال:  
- لماذا رفض الملاً (أبو حارث) ردم (الحفرة رقم خمسمائة) يوم زرعوا الرؤوس المقطوعة في مقبرة البلدة!!

## ليسوا رجالا

استفاق (خير الدين) من نومه ، كان مسكوناً بفرع استثنائي ، رغم الجفوة التي لازمته منذ فترة ليست قليلة ، ظلّ يتمتع بنوم كافي ، يمنحه راحة البال ، وينسيه الجفوة التي ظلّت تلاحقه في يقظته ومنامه ، لم يحصل أنّه نهض من نومه في الليالي التي انصرمت ، رغم قوة الصدمة ، وشراسة الندم الذي لم يبرحه مذ وقع في فخ صولة جماعية غير موفقة ، كلّفته نزع كامل جراته...!!

\* \* \*

نومه المبكر في تلك الليلة كان وراءه دافعاً جهل مصدره ، نعاس حاد باغته ونام ، ما أن ألقى بجسده على السرير ، عبثاً جاهدت (بدرية) أن تشير غريزته ، حاولت أن تستنهض أفاعي الرغبة فيه وفيها ، لم تمل ، فهي كل ليلة تصرف ساعة أو ساعتين ، تنهملك بعجن الكائن الفاقد حسّه ، تشعر بتعب ولا جدوى ، ترخي جسدها على السرير لتغط في نوم عميق ، واصل الفشل بتبديد رغبتها الحيوانية ، منذ أشهر لتحقيق موقعة واحدة معه ، فهي تعرف الدوافع الخفية وراء همود رجولته ، وفقدان كامل جراته ، مذ

غادر البيت في ليلة ثقيلة وعاد في الصباح كأن العالم يقع على كتفيه ، شيء لم تكن صاحبة الإرادة فيه ، واقعة جماعية مشهودة حصلت لكل نساء البلدة ورجالها ، جرائها حصل جفاف إجباري لأحشائهن على مريض ، وموت تام لرغبات أزواجهن...!!

\* \* \*

بقي للحظات في سريريه ، في محاولة أسكان روعه ، كي يمسك خيط أرائده المسلوقة ، قبل أن يعرف ما الذي يتوجب عليه فعله ، قام وتوجه إلى غرفة البيت العلوية ، كانت (بدرية) نائمة ، تواصل شخيرها الأبدى ، بجسدها المترهل وشعرها المتناثر بفوضوية في سرير نومها ، قام وألقى عليها نظرة بدت غريبة بعض الشيء ، رآها بقرة هرمة ، أبتسم لحظة تذكر دعاءه المتكرر يوم كانت تلاحقه وهو شاب صبور لا تلهيه ملذات الدنيا ، كان يردد على مسمعا: (اللهم أجعلها في عيني بقرة) ، واصلت (بدرية) ملاحظته حتى أسقطته بعلاً في مملكة حلمها ، هز رأسه قبل أن يصعد سلم الفناء متوجهاً إلى غرفة المحتويات الفائضة ، والمهمات المتهرئة ، دخل الغرفة ، كان الظلام دامساً ، توجه بغريزته الكلبية التي لا تخطئ نحو الفراش القديم المتراكم فوق صناديق الشاي العتيقة ، مد كفه ، سحب مسدسه الشخصي ، ضرب عليه بباطن كفه اليمين ، شعر باختناق تام جراء الغبار الذي تناثر ، عاد وألقى نظرة أخرى أطول من النظرة السابقة ، كانت (بدرية) قد تشققت في فراشها ، كاشفة

عن فخذين مكتنزين متلألئين تحت رقصات ضوء الفانوس ،  
سحب الملاءة ساتراً عورتها المنتفخة ، هز رأسه مثلما فعل في المرة  
السابقة ، توجه نحو باب الفناء الداخلي ، فتحه ، صفعته وجهه  
دفقة هواء لاسع ، توجه نحو باب البيت ، فتحه ، سحبته وراءه  
بهدهوء ، وبدأ يشق مسارب الظلام...!!

\* \* \*

لم يمشِ (خير الدين) سوى عشر دقائق ، واجهه جسدٌ أسود  
يمشي باتجاهه ، توقف الجسد ووقف هو ، تقدم القادم الغريب منه ،  
وقف أمامه ، شعر أنه سحب شيئاً وقدمه إليه:  
. خذ أيها الرجل...!!

عرف الصوت جيداً ، شعر بذبذبات الخوف تتوارى من  
جسده..أجابه:

. ما الذي أخرجك في هذه اللحظة يا(نور الدين)...!!

. أهذا أنت يا (خير الدين)...!!

. كما تراني...!!

. حسناً فعلت بخروجك في هذا الوقت الملائم ، أنا منذ ساعة

أبحث عن شخص يمتلك الجرأة...!!

. وأنا أيضاً أبحث عن رجل يمتلك الجرأة...!!

. لا..لا.. أرجوك.. أنا من يبحث عنه.

. حسناً لم تطلب صاحب جرأة.

- كي يخلصني من محنتي.  
- لا..لا.. يا(نور الدين) ، أنت ستقوم بالمهمة التي خرجت من  
أجلها.

- وما هي مهمتك يا صاحبي.  
- أن تقتلني.  
- حسناً ما دام لنا نفس الرغبة ، لنجد حلاً يرضينا ويحقق  
رغبتينا.

- أي حل تقترح.  
ربما نحتاج لبعض الوقت كي نجد الشخص المناسب ، علينا أن  
نمشي قليلاً!!

سارا في الظلام ، كلاهما يجملان مسدسيهما ، توجهها نحو  
النهر ، كانت النجوم بجعل ترسل مناشير الضوء إلى البلدة التي  
بدأ يستفيق رجالها ، أجساد سود تتحرك في الظلام ، تتجابه ،  
تتجاذب بجوار مشحون قبل أن تبدأ المشي معاً ، بعد مرور نصف  
ساعة كانت ضفة النهر تضج برجال البلدة..صاح صوت متحشرج:  
- أيها الرجال..سيهل النهار ، علينا أن نجد الحل ونحقق رغبتنا  
الموحدة.

أجابه صوت:  
- أصبحنا مائتي رغبة ، من يمتلك الجرأة لتحقيق حلمنا الكبير.  
صاح صوت آخر:  
- وجدت حلاً مناسباً.

اندفعت إليه الأجساد السود ، تصايحت الأصوات متداخلة ،  
تعذر عليه أن يدرك ماذا قالت الأفواه المائة وتسعة وتسعين..قال:

. أحدكم ينوب عن البقية.

حدث لغط صوتي قبل أن يحل صمتاً شاملاً ، تقدم منه

أحدهم..قال:

. ما هو حلك الملائم.

. أن نقتل بعضنا بعضاً..!!

قهقهه (خير الدين)وقهقهه الجميع وراءه ، تقدمت الأجساد

وأحاطت به.. قال أحدهم:

. لم قهقهت يا (خير الدين)..!!

صحح صوت:

. (خير..خير..خييييييييييييييييييييييييييييييييييين).

أجاب (خير الدين):

. لنفترض بدأنا قتل بعضنا بعضاً ، مائة تقتل مائة ، ثم خمسون

يقتلون خمسون ، ثم خمسة وعشرون يقتلون خمسة وعشرون ، ثم

أثنا عشر يقتلون أثنا عشر ، ثم ستة تقتل ستة ، ثم ثلاثة تقتل

ثلاثة ، ينضم الذي أنتظر دوره من الخمسة والعشرين إلى الثلاثة

ليقتل اثنان اثنان ، واحد يقتل واحد ، يبقى واحد منهما ، من يا

ترى يحقق حلمه..!!

أجابه صوت:

. يبدو أنك نسيت ، البلدة فقدت الجرأة يا(نور الدين).

تداخلت أصوات الأفواه ، حصل ضجيج عارم ، قبل أن يحل الصمت من جديد.. أجاب (نور الدين):

. وجدت الحل النهائي.

استدارت الأجساد نحوه ، بدت الأفواه غير راغبة عن التفسير..  
أردف:

. ألسنا نخوض حرباً مع البلدة (أم الجنادب).

همهمت الأفواه معاً ، وتحمست الأجساد السود ، هداً الجميع..  
قال (خير الدين):

. لقد تأخرنا كثيراً ، سيطلع النهار على بلدتنا وتكتشف نساءنا  
رغبتنا ، ونفشل في تحقيق أمنيتنا الموحدة..!!

سارت الأجساد السود تشق مسارب الظلام ، كانت الكلاب تنبح متوحدة ، والحمير تنهق بشكل غير وارد في تاريخ البلدة (أم الضواري) ، بدأت الديكة تفضح الغمامة المتراكمة حول النهر والتي بدأت تمشي ، عبروا التلال ، عبروا الوديان ، صوت أقدامهم وهي تضرب الحصى والتراب في إيقاع غاضب ، يمتد أمامهم كدليل مخضرم ، عالم بعلوم خرائط الطرق وحركة الأفلاك.. قال (نور الدين):

. يرافق الرغبة الموحدة ، حين ندخل أرضهم ، نقذفهم بأقسي الشتائم ، يجب أن نغضبهم كي يجندلونا معاً ، ونتوحد في موتنا.

صاح صوت لاهث:

. لنسحب أقسام مسدساتنا ونرميها إليهم ، كي يقتلونا بأسلحتنا.



وصلوا مشارف البلدة ، تجمدت أوصالهم ، راحت عيونهم  
تكتشف رغم الظلام الحالك غمامة سوداء زاحفة نحوهم من جهة  
(أم الجنادب).. قال صوت:

- أرى أنّ عاصفة مغبرة جديدة هبت علينا.

أجابه صوت:

- أنّي أرى كلابهم شمّت رائحتنا فهبت علينا.

- ليت ذلك يحصل لتمزقنا قبل أن يهل النهار علينا.. (قال  
أحدهم).

- لكنني أرغب بطلقة مسدس ، تلك هي رغبتى.. (أجابه  
صاحبه).

- ما الفرق ، المهم هو الموت.. (قال أحدهم).

- أسنان الكلاب قاسية ، ربما تنهش بعض أجسادنا وتتركنا  
أشلاء غير مائتة.. (قال آخر).

- سنغضبها كي تقضي علينا. (ردّ أحدهم).

تقدمت الغمامة السوداء ، أصبحت على مرمى حجر ، فجأة  
انكشفت عن أجساد بشرية سود قادمة وهي تلهث وتأن متوجعة  
من مشقة السير ، وقف المعسكران على مقربة من البعض ، تقدم  
جسد ضخم من معسكر (أم الجنادب) ، وقف أمام معسكر (أم  
الضواري).. صاح:

- أيتها الكلاب الجرياء.. أيتها الوحوش المتفسخة.

صمت معسكر (أم الضواري).. همس صوت:

- ليغضبهم أحدنا كي يهجموا علينا.

تقدم (نور الدين).. صاح:

- أنسيتم ما فعلنا بنسائكم ، أم أنتم بلا غيرة عليهن يا عديو  
الرجولة.

تقدم الجسد الضخم ، وقف على مقربة عشرين متراً وهو يصرخ:  
- تعادلنا في تلك الواقعة ، هتكتم أعراضنا ، هتكتنا أعراضكم ،  
لكننا هتكتنا أعراضكم فيما بعد ولم تحققوا التعادل إلى يومنا هذا.

صاح (نور الدين):

- أنتم قردة بلا رجولة.

أجابه:

- أنتم خنازير.. أنتم ديوثون.

- لا يجدي بنا أن نواصل النباح في وجه بعضنا ، جئنا لنصفي  
حساباتنا الأزلية.

ساد الصمت من جديد ، عاد الرجل إلى فصيلته وعاد (نور  
الدين) إلى جماعته كي يتشاورا مع رهطيهما في الأمر...!!  
قال (خير الدين) لفتته:

- ندعوهم للحرب رجلاً مقابل رجل.

أجابه (نور الدين):

- هي فكرة صائبة ، لكن ماذا لو تمكنا منهم جميعاً ، فمن يقتلنا  
فيما بعد.

- يارجال لا تصوبوا عليهم مباشرة ، لتركهم يصوبون مسدساتهم

علينا ويقتلوننا ، أرموا في الهواء.

تقدم (نور الدين) كونه صاحب صوت صادح..صاح:

- ياكلاب.. لتتبارز رجلاً لرجل.

جاءه الصوت القوي:

- هذه فكرتنا أيضاً.

تقدم رجلان من المعسكرين ، وقفا على مقربة عشرين متراً من

بعضهما ، بدءاً بإطلاق النار ، أفرغا مخزني مسدسيهما ، لم يمت

أحدهما.. (صاح نور الدين):

- لنجعل المسافة عشرة أمتار.

جاءه الصوت القوي من المعسكر الآخر:

- هذه فكرتنا أيضاً.

تقدما الرجلان وافرغا مخزنان آخران ، لم يمت أحدهما.. تقدم

(نور الدين).. وصاح:

- أيتها الكلاب الجرباء ، لتكن المسافة خمسة أمتار.

جاءه الصوت القوي:

- هذه فكرتنا أيضاً أيتها الجرذان المنقرضة.

تقدم الرجلان وأفرغا مخزنان ولم يمت أحدهما.. اسر

(نورالدين) في جماعته:

- يبدو أنهم اتفقوا على ما اتفقنا عليه.

أجابه صوت:

- ما الحل.. النهار يقترب.

قال (خير الدين):

- فكرتي أن نقتلهم جميعاً ، وننقل جثثهم إلى نسائهم  
وأطفالهم ، ونعلن أنفسنا القتلة ، كي نعطيم فرصة تمزيقنا.  
صاحت الأصوات دفعة واحدة:  
- فكرة صائبة.

تقدم (نور الدين) ووقف في المسافة الفاصلة بين المعسكرين..  
صاح:  
- أيتها الضفادع المخنثة ، لنا حل مناسب لتصفية حساباتنا  
القديمية.

تقدم الناطق المخول باسم رجال (أم الجنادب)صاحب الصوت  
القوي منه ، وقف في المسافة الفاصلة.. صاح:  
- يا عنكبوت تنن ، لم تنبح ، قل فكرتكم.  
- أن نقف في صفين متقابلين وتواجهه بالسلاح قبل أن يحل  
النهار.

- تلك هي رغبتنا الأخيرة ، يا لكم من كلاب تقرأ أفكار الخصم.  
تقدم المعسكران ووقفوا أمام البعض لمسافة عشرة أمتار ، مائتا  
رجل أمام مائتا رجل ، سحب كل رجل مسدسه ، بدأت المعركة  
الأخيرة بين البلدين (أم الجنادب) و(أم الضواري) ، مائتا فوهة  
مسدس بأيدي رجال بلدة (أم الجنادب) أطلقت مائتا طلقة فوق  
رؤوس رجال بلدة (أم الضواري) ، أعقبها مائتا طلقة انطلقت من  
فوهات مائتي مسدس بأيدي رجال بلدة (أم الضواري) وفق الخطة

المرسومة ، أصابت أهدافها ، مائتا رجل تجندلوا في لحظة خالدة ،  
تهافت أجسادهم فوق الحصى ، كانت أفواههم تطلق أنين الفرح  
والسرور.. صاح (خير الدين):  
- ليس لدينا وقت ، هيا لتطبيق بقية خططنا.

رفع كل رجل جثة وبدعوا رحلة السير الشاق عبر جبال وسهول  
شائكة ، حافلة بالأشواك الدامية ، عبروا الوديان خائضين في  
مستنقعات مالحة ، شققت بطون أقدامهم ، شعروا بتعب غير وارد ،  
عزوا ذلك لفقدان الجرأة ، منذ تلك الواقعة الأليمة ، الواقعة التي  
حصلت بين بلدتهم وبلدة (أم الجنادب) ، في ليلة دامسة ، اشتغلت  
الرؤوس في البلدين ، قرروا فكرة واحدة ، توجه رجال بلدة (أم  
الضواري) صوب بلدة (أم الجنادب) وفي ذات اللحظة توجه رجال  
بلدة (أم الجنادب) صوب بلدة (أم الضواري) ، توقفوا المعسكران  
بسبب هواجس عارضة ، قررا سلوك اتجاهين متضادين ، دخل  
رجال بلدة (أم الجنادب) بلدة (أم الضواري) اقتحموا البيوت ،  
واقعوا نساء رجال البلدة ، في تلك اللحظة كان رجال بلدة (أم  
الضواري) يواقعون نساء رجال بلدة (أم الجنادب) وعاد الرجال  
مزهوين بالنصر الجسدي الذي عندهم أسمى الانتصارات القبلية ،  
كل رجل يمشي في بلدته مزهواً بنفسه ، متبختراً ، لا علم له بما  
جرى في بيته ، حاول رجال (أم الضواري) تكرار مشهد النصر بعد  
أسبوع من الواقعة التاريخية ، انسربوا سراً ووصلوا بلدة (أم  
الجنادب) غرلوا البيوت ، لم يكن هناك بشراً ، خالهم الظن أن

البلدة بعدما فقدت جرأتها غادرت المكان ، لكن المفاجأة كانت حين عادوا ، وجدوا نساءهم منتشيات من مواقع غير طبيعية ، لقد باغتوا رجال بلدة (أم الجنادب) البلدة في خطة سرية محكمة ، رحّلوا نساءهم وبناتهم عن بلدتهم ، غزوا بمكر وخديعة أفلحتا في تحقيق رغبتهم ، سقط رجال بلدة (أم الضواري) في دوامة قاتلة من الحيرة والشroud ، شيئاً فشيئاً وجدوا أنفسهم فاقدى الجرأة ، ليس فيهم عرق ينبض بشهوة الرجولة ، تدافعت فيهم غرائز الخجل والخوف أمام نساءهم ، قرر كل رجل أن يتخلص من حياته ، حمل مسدسه وأندفع يبحث عن رجل ما يزال لديه الجرأة كي يقتله ، أكتشف الرجال أنهم متوحدون في الرغبة ، متآلفون في تحقيقها ، مصرون على ركوب الأمواج الخطرة من أجل النعمة النهائية ، الموت بشرف ، ساروا كثيراً ، وجدوا أنفسهم في شلل مباغت ، أجفانهم استجابت لمصل خدر أستعمر أجسادهم ، أنزلوا الجثث ، استلقوا بشكل جماعي من غير إيعاز ، وناموا نوماً ثقيلاً...!!

\* \* \*

استفاق (خير الدين) من نومه ، وجد رهطه في شخير جنائزي ، راح يضربهم بقدمه ، بعضهم قام وبعضهم ظلّ يتلوى تحت ثقل النعاس ، كانت الشمس تحاول غزو الفضاء من وراء التلال الشرقية ، بدت أشعتها الحمراء تصبغ الفضاء بلون أحمر تمازجه صفرة متنامية ، قام الناهضون بركل المتناومين ، بدأت الأيدي تلتقط

الجثث ، وتلقيها على الأكتاف ، من جديد بدأت الرحلة ، ساروا طويلاً..قال أحدهم:

- يبدو إننا فقدنا الطريق.

وقفت الأجساد حائرة ، راحت العيون تستفسر عن الحقيقة المؤلمة.. أجاب (نور الدين):

- يبدو أنه على حق ، لقد فقدنا البوصلة.

أجابه صوت أحدهم:

- هل يعقل أننا فقدنا الطريق إلى أعداءنا.

أجابه صوت:

- الم نسلكه في تلك الصولة (الجنسثارية).

قال (خير الدين):

- يبدو أن المسالك تداخلت علينا ، يجب أن نتروى في السير قبل

أن نفقد الطريق ونكتشف أننا في متاهة كونية.

طرحوا الجثث ، بعضهم جلس.. أرتفع صوت أحدهم:

- لم لا نفكر بحل جديد.

أجابه (نور الدين):

- اتفقنا على الفكرة ، لا يجب أن نتركها بعد أن خضنا نصفها.

تقدم رجل من ربوة عالية ، صعدها ووقف يستشرف النقاط

القضية.. صاح:

- يارجال ، لا تفقدوا الأمل ، نحن نمشي في المسار الصحيح ، تلك

هي البلدة ، أراها متوهجة تحت أشعة الشمس ، كعروس تنتظر عريسها!!

هبط..رفعوا الجثث ، بدءوا المشي من جديد ، باتجاه تلك النقطة التي تلامحت في عيني الرجل الذي صعد التلة العالية ، مشوا كثيراً ، كان صوت لهائهم مثل لهاث كلاب تركض ، أجسادهم من شدة التعب تضغط على أفواههم لتحرر مقطوعات صوتية مبحوحة ، على مقربة من نهر يفصل بينهم وبين مقدمة البلدة ، توقف (نور الدين).. قال:

- ليس هذه بلدتهم يا رجال.

أجابه (خير الدين):

- ماذا دهانا ، ألم نطأها في تلك الغزوة المشهودة.

أجابه أحدهم:

- فقدنا رشدنا ، أنت تعلم أن فاقد الجرأة لا يرى ، لم لا نجد

حلاً ينهي هذا الجدل العقيم.

أجابه أحدهم:

- أفتح مخك وجد حلاً لنا.

حسم (خير الدين) الجدل:

- لنعبر النهر وندخل البلدة غفلة ونرى ، ربما سنجد هجوماً عنيفاً

علينا.

رفض البعض عبور النهر ، في تلك اللحظة انتبهوا لغمامة ترابية قادمة نحوهم ، لم يجدوا تفسيراً ، وجدوا رجالاً يحملون مسدسات



يواجهونهم في الضفة المقابلة.. صاح صوت:

- من أنتم ، ماذا تحملون.

أجابه (نور الدين):

- نحمل جثث رجال قتلناهم في معركة حاسمة.

- يا ويلكم.. ستدفعون الثمن غالياً.

- نحن نستحق العقاب ، بأقدامنا جئنا نبحت عمّن يعاقبنا.

- سنرميكم لكلاينا.

- أنتم فئة جبانة.

- وأنتم فئة نتنة.

- حسناً.. عند القتال يظهر معدن الرجال.

- لنتقاتل.

- تعالوا إلينا.

- لم لا تأتون أنتم.

تشاؤروا في الأمر ، تقدم أحدهم وصاح ، سنأتي إليكم.

بدأت الأجساد تلقي بنفسها إلى لجة الماء ، واحداً واحداً

اختفوا ، أنتظر الرجال لساعة رعب ، وجدوا أنفسهم أمام مائتي

جثة طافية.. قال أحدهم:

- لنلق هذه الجثث في الماء ونحمل الجثث الطافية.

- أجابه (خير الدين):

- لقد أشتغل مخك أخيراً ، يجب أن نحمل جثث هذه البلدة

ونلقها أمام نساءهم.

دخل الرجال إلى الماء ، حمل كل واحد جثة ، حين صاروا  
على الضفة ، ألقوا بالجثث القديمة ، بدءوا السير مع الضفة بحثاً عن  
معبر.. قال أحدهم:  
- ألم نكن أغبياء.  
أجابه (خير الدين):  
- حقاً فقدنا فرصتي موت ملائم.  
قال آخر:  
- كان يجب إلقاء أنفسنا إلى الماء قبلهم.  
قال أحدهم:  
- ولكن قررنا أن نمت بطلقة مسدس.  
أجابه آخر:  
- حقاً ربما النهر يحملنا إلى الضفة من غير أن نمت.  
أجاب (نور الدين):  
- لن نفلت الفرصة القادمة يا رجال.  
وصلوا معبراً خشبياً ، عبروا إلى الضفة الأخرى.. قال أحدهم:  
- لم لا نلقي بالجثث إلى النهر.  
- وهل تصدقنا نساءهم.. (أجاب أحدهم).  
- حسناً علينا أن نسرع ونقتحم البلدة بالجثث عسى أن تزجنا  
الشرطة في السجون ويحكموا علينا بالموت رمياً بالمسدسات.  
قال أحدهم:

. أنا لا أريد أن أشنق ، أريد رصاصة ، رصاصة مسدس كافية  
لتحقيق حلمي.

دخلوا البلدة ، تزاхمت من حولهم الصبيان والنساء..صاحت  
امرأة:

. من أنتم ، أجساد من تحملون.

أجابها (خير الدين):

. قتلنا رجالكم وهذي جثثهم.

تصاعدت الزغاريد من أفواه النسوة..صاحت امرأة:

. هل حقاً أنقذتمونا من رجالنا.

قال (نور الدين):

. رجالكن حيوانات.

. حقاً ما تقول ، حيوانات عفنة ، تخلصنا منهم ، رجالنا كانوا بلا

جرأة ، (ليسوا برجال).

وجد الرجال أن البلدة فرحة بتخلصها من رجالها..همس

أحدهم:

. يبدو أن نساءنا سيرقصن عاريات لغيابنا.

حفرته العيون التي سمعت همسته.. صاح (نور الدين):

. لم لا تنتقمين منّا يا نساء.

. عليكم أن تحلوا ضيوفاً علينا ، قبل أن نتخلص منكم.

تجمع الرجال وهم يلهثون تحت ثقل الأجداث ، تهامسوا

وتناقشوا.. قال (خير الدين):

. ليس لنا حل آخر.

تقدم (نور الدين) من النساء المحتشدات..قال:

. قبلنا شرطكم.

حل كل رجل ضعيفاً على بيت ، تركوا الجثث أمام عتبات البيوت ، وفي الليل فشل كل رجل من بلدة (أم الضواري) أن يلهث فوق جسد امرأة من بلدة (أم الصراصير) ، عند الفجر ، تم طردهم من قبل النساء بعدما اكتشفن أنهم (ليسوا برجال) ، تفاجئوا باختفاء الجثث أيضاً ، بحثوا في الشوارع والبيوت وذهبوا إلى النهر.. صاح (نور الدين):

. غدونا ألعوبة لنساء البلدة.

. ما العمل يا (نور الدين).. (قال خير الدين).

. علينا أن نهتدي لحل معقول.

. لا حل آخر.. (قال أحدهم).

. وما هو الحل.. (صاحت الأفواه).

. أن نقتل بعضنا بعضاً.

أجاب (نور الدين):

- لم لا نصوب مسدساتنا إلى رؤوسنا ، لننهي قضيتنا بشورة

جماعية.

أجابه (خير الدين):

. ولكن من يمتلك الجرأة أن يقتل نفسه.

حصل صمت أمتد لدقائق.. قال (نور الدين):

- يجب أن نسلم أنفسنا لشرطة البلدة.  
- وهل تعتقد أنهم يعدمونا فوراً.  
- أعتقد أنهم سيتخلصون منا ، لأن مراكز الشرطة ليست فيها  
سجون.

ساروا باتجاه مركز البلدة ، وجدوا مركز الشرطة مسوراً بسياج  
كوكريتي عالي ، ضجت أصواتهم قبل أن يطل عليهم من نقطة  
الحراسة ، وجه بشارين طويلين.. صاح:

- هل أنتم متظاهرون.  
- نعم جئنا لنحتل البلدة..(صاح خير الدين).  
- قفوا سترون نهايتكم.  
فرحت الوجوه وراحت الأجساد تتعاق وتودع بعضها بالقبلات ،  
في تلك اللحظة تقدمت منهم مواكب شرطة بيدها هراوات وهي  
تصرخ:

- انبطحوا أيها الكلاب.  
تمدد مائتا جسد بفرح غامر ، كانت عيونهم ترمق بعضها البعض  
والجفون تتغامز ، ربطوا أيديهم وساقوهم إلى غرف خانقة..!!

\* \* \*

بعد مرور أشهر قاسية ، وجدوا أنفسهم أمام رجل جنتلمان ،  
أجلسوهم في ساحة كبيرة ، شعروا بفرح كبير ، توقعوا أن قضيتهم  
قد آلت إلى النهاية التي أرادوها ، توقع كل واحد منهم لحظة إعدام

جماعية ، راحوا يجرون من أغوارهم تعب الشهور القاسية ، تقدم  
 الرجل الجنتلمان ووقف منتصف الصفوف الجالسة.. صاح:  
 - من فيكم المخول الرسمي بالكلام عن البقية.  
 قام (خير الدين).. صاح الرجل الجنتلمان:  
 - أنت إذا...!!  
 أجابه (خير الدين):  
 - كلا...!!  
 - ولم تقف.  
 - كي أقل لك من هو المخول الرسمي بالكلام عتاً.  
 - ومن هو.  
 - (نور الدين)...!!  
 قام (نور الدين) وتقدم من الرجل..قال:  
 - أنا من ينوب عنهم بالكلام.  
 - حسناً..لم أنتم هنا.  
 - قتلنا مائتي شخص ثم قتلنا مائتي شخص ثم...!!  
 - ثم ماذا...!!  
 - أردنا أن نطأ نساءهم.  
 - وهل فعلتم.  
 - كلا.  
 - لم.  
 - لأننا.. لأننا.

- بلا جرأة.

- نعم.

- مخانيث.

- نعم.

- ليس هذا مهماً بالنسبة لنا ، ليس هناك أدلة لديكم تثبت أنكم قتلتم رجال البلدة ، ولا شهود عيان يشهدون ضدكم أنكم قتلتم الرجال ، وليس هناك شكوى ضدكم من نساء البلدة ، أنكم قمتم بقتل رجالهن.

- لدينا رغبة أن نقتلكم.

- وليس هذا بذي أهمية ، أنتم تعبرون عن حريتكم ، تجاه رجال الحكومة ، شيء طبيعي ، نحن لا نمنع من يريد أن يمارس طقوسه كيفما يشاء ، فالحكومة تضغط عليكم في هذه المرحلة .  
- نحن نستحق العقوبة القاسية ، عقوبة ترك نساءنا ، وعقوبة قتلنا الرجال والرغبة في مواجهة نساء البلدة.

- لا تحدثني عن حرياتكم الشخصية والجماعية ، أريد سبباً يحل به معاقبتكم.

- أليس في قانون البلدة أسباب تؤدي على عقوبتنا.  
- هناك سبب واحد ، سبب سيحقق لكم الرغبة في نيل العقوبة.  
صاحت الأفواه دفعة واحدة:

- ما هو السبب...!!

- قتل السجناء.

- وهل هناك سجناء لقتلهم.
- لدينا الزنازين مملوءة ، نريد استبدالهم بسجناء جدد.
- تقدم (نور الدين) أكثر من الرجل الجنتلمان..قال:
- لدينا الرغبة بقتلهم.
- أ..لديكم الجرأة على ذلك.
- سنشتريها لو تباع.
- حسناً.. تهيئوا لذلك.
- أنسحب الرجل الجنتلمان ، ووقف على دكة عالية ، نادى على أحد مرافقيه ، تحاورا ، بعد دقائق وجد رجال (أم الضواري) أنفسهم أمام مائتي سجين متهالك ، أوقفوهم في نسق واحد أمام الجدار الطويل للسجن ، نادى الرجل الجنتلمان على (نور الدين) ، هرول إليه مسرعاً ووقف أمامه..قال له الرجل الجنتلمان:
- تخلصوا منهم كي تنالوا جزاءكم الذي ترغبون.
- عاد (نور الدين) لرهطه ، تشاور معهم.. قال (خير الدين):
- وهل سيحققون رغبتنا.
- أجابه (نور الدين):
- واعدني الرجل الطويل أن يحقق لنا الرغبة التي تؤرقنا.
- قال أحدهم:
- ألم يقل أنه يرغب بتبديل السجناء.
- سمعته يقول هذا.. (أجاب أحدهم).
- ربما سيجعلنا داخل الزنازين بدلاً عنهم.. (قال أحدهم).







رجال بعددهم يهرعون نحوهم ، تحصل مبارزات كلامية بين المعسكرين ، تنتهي إلى أتفاق حربي ، لم يعوا الذي يحصل ، إلا بعد فوات الأوان ، رجال يمتلكون الحيل كي يقتلوا بيسر ، يقتلونهم ويحملون جثثهم ، يفيق رجال (أم الضواري) من صدمة ما الذي حصل ، يطرحون الجثث القديمة في الأنهر ، أو في الحفر ، يرفعون الجثث الجديدة ، كلهم يقين أن حلمهم جد قريب ، تجلدت أجسادهم على الصبر والمشقة ، لم تعد الراحة تدغدغ أجسادهم ، لم يشن عزمهم عطش أو جوع ، ينقلون جثث قتلاهم ويطرحونها أمام نساءهم ، قبل أن يكتشفوا أنهم في رحلة جديدة ، بعدما تطردهم النساء حين يكتشفن أنهم - ليسوا برجال - . مضت الأشهر والسنوات ، بدءوا يتناقصون ، جراء الشيخوخة المبكرة ، والأمراض الغريبة التي حصدت منهم ما حصدت ، وذات يوم أفاق اثنان من نومهما ، وجدا صاحبيهما خالدين في حلمهما ، يتسلمان بسمة الفرح المبين ، لم يجدا بقية دمع أو رغبة بكاء كي يسكبانهما عليهما ، رفعا الجثتين وواصلوا السير...!!!

\* \* \*

يواصل الراوي تكملة الحكاية بعدما جف ريقه وكرع طاسة ماء:  
[..ظلّ الرجلان يواصلان السير ، وصلا بلدة غريبة ، وجدا نمال سود قادمة نحوهما ، ارتعبا من مشهد غمامة تحجب الأفق تتدحرج نحوهما ، رغبا أن يلقيا الجثتين ويهربا. فطن (نور الدين) إلى حلمهما

الأزلي.. قال لصاحبه:

. أرى أن الفرصة الخالدة قد أنت.

أجابه (خير الدين):

. ليت هذا يحصل...!!

تقدم النمل السود في غزوة برقية ، لما تكشفت الأوضاع ، ولاحت ملامح الأشياء ، أكتشف الصديقان ، أنهما محاطان بالآف النساء المتلفعات بأسمال سود ، رحن يرقصن حولهما ، يفرشن فواكه رغبات جريحة ، كل واحدة تحمل رجلاً تطير به ، تعود لتطرحه أرضاً ، تغادر دامعة العينين ، صائحة بصرخة تمتد إلى مسافات قصية . ليسوا برجال..ليسوا برجال . ليسوا برجال.....!!..!!

\* \* \*

..سحب الراوي نفساً عميقاً قبل أن يواصل روايته:

[واصل الصديقان - نور الدين - و- خير الدين - البحث عن فرصة موت مناسبة ، جابا الآفاق واقتحما عشرات الطلول والبلدات المهجورة ، تعذر عليهما تحقيق حلمهما...!!

قال (نور الدين) لصاحبه:

. أه لو فعلت ما أمرتك به لما طال بنا الشقاء.

أجابه (خير الدين):

. ولو فعلت أنت ما رغبتة لما سلبتنا الرغبة وألقتنا ضالين في

المتاهات.

قال (نور الدين):

- لم لا تقتلني وترخي من هذه الأسفار العقيمة.

- يجب أن تقتلني أنت.

- بل أنت.

- دعنا نواصل السير.

وصلا إلى طرف بستان على ضفة نهر ، جلسا في ظل شجرة توت ، غشاهما نعاس شديد ، ناما نوماً عميقاً بعدما تناولا كمية كبيرة من التوت وكرعا من ماء النهر ، حلم (خير الدين) حلماً سعيداً ، وجد أنه عاد له سابق جرأته ، وجد (بدرية) واقفة تنتظره ، تعانقا وتواقعا ، لم يحتمل فرحته ، راح يرقص ويتقاذف في الهواء ، يضرب الأرض بكعب قدمه ، يقفز ويهبط مثل مجنون باغته جنونه ، ظلّ (خير الدين) يمارس لعبة الفرع قبل أن يتهالك من فرط الإعياء..!!!

..يتوقف الراوي عن الكلام لبرهة من الوقت ، يسحب شهيقاً طويلاً ، ويعدّل من جلسته ، بعدما يأتي على ما في الطاسة من بقايا ماء ، يهز رأسه إيداناً بالكلام..!!!

[..استفاق - خير الدين - من نومه ، لم يصدق ما يرى ، بعدما تأكد من سلامة عقله ، وملامسة بدنه ، كي يدرك أن الذي حصل مجرد حلم داهمه من فرط الإعياء ، أفسع بدنه ، وأصابه غم شديد ، لطم وجهه وخمش صدره ، أكتشف أنه قام برفس رأس - نور الدين - بقدميه ، وهو في لجة نومه العميق ، وجده خالداً في



## ما رواه عبيدال

واصلت بحثي الحثيث عمّن للمشورة عون ، بعدما كذّبتني خلق كثير ، ساموني رهن العذاب بما هو جارح من منبوذ كلام ، تجملها ألسنة لا تستحي أو تخشى عذاب يوم الحساب ، لم أذق ذرعاً بهم ، أو تستهويني رغبة لملاسنتهم ، أو ردعهم عمّا كانوا عني يفترون ، أثرت منهجي السلمي ، طالما في البدن عرق ينبض بالرغبة ، لتحقيق مرامي ، ودم جسدي لما يزل في فورانه اليافع لخلق كل بادرة غضب ، اتخذت من التجوال مهنة ، أنا وحمارتي المطيعة..قلت:  
- سأجد الحل ولو في خريف العمر!!!

\* \* \*

أنا (عبيدال السارح).. ليس بوسع أعمامي نكراني ، رغم نار البغض ودخان الضغينة يفضحان سحناتهم كان أبي (مساري).. من قومٍ إن أحسوا الجوع غزوا ، وإن غزوا يبیدون الضرع والزرع ، هابتهم بطون عنيدة ، تركوا لهم الأرض ذات الأنهر والغلال ، أنا ترعرعت بعد جهادٍ عنيدٍ مع مرضٍ لف كل رضيع جايلني ، من ذلك المرض نجوت بشربي حليب الحمير ، بيد من رفض شربه نفق ، رغم الجوع

والحرمان كبرت ، كنت أرمى غنم القوم ، مقابل حفنة طعام وكسوة كل نصف عام ، مات أبي وماتت أمي وبقيت مع شقيقة ، يقولون هي ليست من بطن أمي ، بل فتاة اتخذتها أمي ذات يوم كي تكون لي أخت من غير رضاعة ، بعدما جفت أحشاءها ، فتاة قيل أن عسكرياً باعها وهو قادم من سجن (نقرة السلطان)\* ، مذ شعرت بطوال غربتي بينهم ، وبعدها ساموني سوء العذاب ، وسيل الظنون بألسنتهم السليطة ، قررت أن أخوض متاهات وصحاري البلاد ، لا حرٍ يصرعني أو يردعني ، واجهت كل الصعاب بقوة شكيمتي وعناد صبري ، لا جفاف تمكن أن يشقق حلقي ، ولا جوع أوقف سيرتي ، خرجت وكلّي يقين أنّ الفلاح نهاية رحلتي ، استعنت بجردل ماء ، وبضع تمرات يابسات هنّ كل ما جادت بها يدي أختي العانس (مليحة) ، ركبت دابتي (أم توأم) كما شاع أسمها بين عشيرتي الأقربين ، حمارة لم تلد إلاّ توأم ، حتى قيل أن (عبيدال) هو بعلمها ونافخ بطنها كل ربيع بـ(كرّتين) لا تعيشان سوى أيام ، تلك الكنية سعّرت رغبتني بالرحيل ، بعدما جفّت منابع الرحمة ، وتم قطع جبل المودة والعشق بيني وبين من سكنت قلبي وملكت كياني وجرماً وغراماً ، فتاة رغبت وصالها ورغبت هي وصالها ، نبئد أن الكيد هادم

\* (نقرة السلطان) من أقذر السجون العراقية وأقساها ، سجن للملفين من العراقيين ، يقع في صحراء لا تنتهي ، جنوب غرب العراق ، في مدينة (السماوة) تحديداً ، لا ينجو منها من يهرب ، كونه سيهلك من قبل الضواري أو ينفق جراء الجوع والعطش والمتاهة.



الأحلام وضع حداً لمواصلة تشبثي بأمرى ، ثرثروا بكل ما هو مشين  
وغير لائق ، وأفلحوا في تفريقنا إلى حين ، لم أعد أحتمل نيران  
الفراق ، ولا أبواق النفاق ، صحت فيهم:  
. انتظروا العذاب والشقاق يا رفاق..!!

\* \* \*

كان مغرب الشمس غاييتي ، هناك حط خيالي ، حيث البراري  
تهرب بسحر محير ، بعد مسيرة ليال ثلاث وصلت بقايا شواهد  
لقبور دارسة ، وأثار مساكن مهجورة ، كوكبة أشجار يابسة ، قلت  
أنال قسط راحة تشحن جسدي بالطاقة ، وأتدارس وضعي قبل أن  
تتهافت رغبتى وتشل إرادتى ، منحنتى تلك الخلوة فرصة تقوية  
عزيمتى ، قبل أن أهد خيوط مصيري عبر الأرض التي تمتد وتمتد ،  
جلست بعدما ربطت (حمارتى) بجذع سميك ، غلبني نعاس شديد  
ولفني نوم ثقيل ، لحظة نهضت ، هالني الموقف وراعني ، تأكدت  
من نفسي كي أطرده الظنون ، عجبت مما حولي من تغير ، راحة  
جسد ما ذقتها من قبل ، خاب ظني بما خمنت من زمن استغرقتة  
في سباتي ، لم أجد سوى بقايا عظام جافة لدابتي وبقايا الجبل  
مفلولاً وملقى قرب رأسي ، نفضت يدي من الرمال بعدما دفنت  
الهيكل المنخور ، من جديد توكلت وكلّي يقين أن وحشاً جائعاً  
ألثهم راحلتي وتركتني فريسة في متاهة ، كان يجب أن أجرجر قدمي  
مهما تواردت من خطوب ، رحمت أنشد الأفق المفتوح ، رمال

تلتصق بالأفق ، سواد يتموج لاج وأغراني ، خلته غابة أو بستان  
أشواك ، شاهدت سرب عقبان تحوم فوق رأسي ، للحق أقول  
أوجست خيفة وراعني خلو المكان ، لا نبات ولا أثر لأنس أو  
حيوان ، تأكدت من خنجري في طية حزامي ، رحمت أحث  
سيرتي صوب تلك البقعة المتذبذبة ، استقبلني بعد ساعات سير  
نباح كلب ، استبشرت خيراً كون الكلاب دليل حياة وصلت بيت  
شعر في بيدا ، وجدت امرأة تكاد أن تقضي نحبها ، استدرجتني  
بعصاها ، أدخلتني إلى مهجعها ، سردت لها ما جرى لي من  
خطوب.. قالت:

. أرضنا مسكونة باللعنات.

- خبريني يا(أم) عن لعنة جففت ضروع حلالنا ، أن كنت

للعنات مفسرة.

شربت (طاس) ماء والتهمت ثلاث من تراتي المتبقيات ،  
حكيت لها كل ما جرى على قبيلتي من ويل يطر الثبور ، وشواهد  
راحت تشخص تكاثر القبور ، بعدما شدني يقين أفضى مضجعي ،  
ولهفة عارمة نفختني لاستعادة رجولتي بين أهلي وخلاني ، مذ  
اتهموني بمواقعة الحمير ، وليس أقسى وقعاً علي ، يوم رفضوا  
تزوجي ب(دلة) فتاة قلبي..!!

. لك ما تبغي يا حيران ، لكن بشرط لا يكلفك كثيراً.

. (دلة) عبلتي والصحاري مأوي ، أنا لكل شرط يدنيني منها ،

هات ما تشرطين.

. تتزوجني سبع ليال.

. ويحك يا عجزو!!

لم أكد أنهي كلامي حتى ثار غبار لفني لفات ، فدارت بي الأفلاك قبل أن أستقر ، فاتحاً فاه ، مصعوق النظر ، بان ضوء ساطع ، فتاة تحاكي البدر ببياض وجنتيها ، وتطرد سواد الليل ببريق عينيها ، مالت علي ، رجفت أوصالي ، وكادت روحي أن (تظفر) من جسدي ، أسندتني على وسادة ريش ، دلقت إلى فمي رشقات من ماء زلال ، فتحت عيني ، كانت تغور إلى كياني وتفقدني شيئاً فشيئاً إيماني!!

. تلك هي فرصتك ، كل من تاه بحثاً عن دواء نال مراده بعدما نلت منه مرادي.

. وهل لديك غاية يا بنت الحسن والجمال.

. أنا لست من بنات جنسكم يا إنسان ، أنا ابنة ملك الجان ، قضي علي أن أفعل ذلك حتى يأذن أبي بالعودة إلى مملكتي ، وأعيش مع من ملك كياني بالهيام.

. حسناً بيدك مرادي ويدي مرادك.

عشت سبع ليال أنس ودلال ، لم أكن في عالم البشر ، في فردوس لا تصدقه العيون أو بوسع الألسن وصفه ، في صبيحة اليوم الثامن استفتت على صوت غريب ، لكم دعكت عيني ، الحقيقة ظلت ماثلة ، البياض بياض والسواد سواد كما يقولون ، كنت عارياً أستلقي وكانت حمارة هزيلة تشهق شهقاتها الأخيرة مطروحة جنبني ، ليس ثمة خيمة في الصحراء ، خلت القضية مجرد كابوس قوم لا يتركونني

لحالي ، وحدي أداري الذي حصل ، لفلقت جسدي بأسمالي ،  
بصقت على الجسد المختصر ، واصلت من جديد سيرتي...!!

\* \* \*

كومة تراب في صحراء أقلقت تفكيري ، سدّت منافذ تأويلاتي ،  
تناولت الأمر في ذهني ، غريب أن تتراكم الأتربة في مكان تسرح  
الريح فيه بلا هواده ، أغراني ظن وتفاعلت في أحشائي هواجس  
دفعتني للمغامرة ، تقدمت ويدي اليمين تشبث بمقبض مديتي ،  
وجدت بئر ماء حديث الحفر ، قر قراري على أن بعض السيّارة أو  
مجموعة هربت من سجن (النقرة) قد سبقوني سيراً في تلك  
الرقعة ، إحتفروها بعدما ضاقت بهم السبل ، وحامت حولهم  
المهالك جراء نفاذ ما لديهم من ماء ، وجدت حبلاً طويلاً ودلواً  
من نحاس ، أدلته باحتراس شديد وكّلي يقين لابد من ماء حلو ،  
كانت بي رغبتين ، رغبة لتعزيز موقف الماء في جردلي ، ولحت رغبة  
أشد أن أغتسل من وعشاء سير كثير ، وجمت بغتة ، تناهت  
صرخة مكتومة تبعثها ضحكة صريحة ندّت مني صرخة:

. ما هذا...!!

فتاة مليحة ، عيناها تشعان كالبرق ، شعرها سنابل شعير ناضج  
يداعبها لطيف نسيم.. قالت:

. عمت مساء يامنقذي.

. أبنت أنت أم...؟!!

- لا تكمل ما لا أحتمله من كلام.
- إن لم تفعلني سأعيدك لموطن هلاكك.
- سأدلك على ما تبغي مقابل عتقي من هذه البئر.
- سحبتهما وكلي فرح ، جلست تجفف عن أسماها الماء ، ظللت  
أحدجها بين واهم وغير واهم ، قلبي غير واثق مما أرى ، نثرت  
شعرها الطويل الفاحم ، ولفته بيديها إلى خلف رأسها وأنا  
واجم..قالت:
- جئت في الوقت المناسب.
- يابنت.. لست بمطمئن منك.
- لست من الجان يا إنسان ، أنا بنت من جنسك ، رفعتني  
الذنوب بهوى المحبوب ، أرادوا قتلي ولكن من كان نافذ القول من  
بني أعمامي ، أجبر أهلي وأعمامي أن يقدفوا بي في مكان لا يمر به  
إلا هارب من سجن (نقرة السلطان). قال لهم: عسى أن يتخذها  
أحدهم زوجة ، نتخلص من فضيحتها ، ونضيف حسنة إلى كنيتنا  
يوم الحساب.
- إن كنت حقاً ما تقولين ، لن أدخر وسعاً لأصلح بينك وبينهم.
- ذلك مرادي ، ولكن أهلي أسود كواسر ، خلصوا الضحايا من  
مخالب قوافل العساكر ، تراهم ولا تراهم ، كالبرق ينقضون  
وينسحبون ، أرجوك لا تخاطر بحياتك ولا تجاسر.
- الخير سهم نافذ ، ولو في جدار حصين.
- أذهب وأفعل ما تراه ، سأعطيك أعلى ما عندي ، خاتم أودعه

سجين هارب لاذ بيتنا.

سرنا معاً ، قبل أن يبدأ الليل بإرخاء سدوله ، نمشي وما بين لحظة وأخرى تلتقي العيون ، تفتت الثغران عن ابتسامتين ترافقهما أهتين ، توقفت وناولتها جردل الماء من كتفي.

- بلّي لسانك كي ينطق.

- لساني عاجز.

- الماء يفل عقدته.

- أأنت شاعر.

- بل مجنون.

- لا أرى فيك خصلة تناقض.

- الناس تقول عني ما تشتهي من كلام.

- دع من لا يستحي أن يريح غيرته بما يلذ للسانه من مستهجن

كلام.

- بنت كم أنت.

- بنت الفصول التي أمطرت وأزهرت الأرض بالمسرات.

- أشهد أنك شاعرة.

- هات برهانك.

- لسانك.

- وصلنا مكان ذي ربوة ، بركت الفتاة وأبركتني بإشارة معها.

- أهلي.

- دعيني أنشدكم.

- ليس قبل أن يحل الليل ، أعني منتصفه.

- ولم منتصفه.

- الغروب مصدر شؤم لنا.

- زيديني إيضاحاً.

- ذات غروب ، قتلت الحكومة والدي ، حين رفض تسليمهم هارباً من (النقرة).

- وبعد.

- ذات غروب ، قتلوا أمي بعدما أعطت هارباً ملابسها ولبست

هي ملابسها.

- كفاك ألماً.

تجاوزنا بود ، وجدتها لامعة الذهن ، جريئة الكلام ، سردت لها ما حصل لحلال عشيرتي من جفاف ، دلّني على مكان كان يسكنه رجل وحيد رفض أن يختلط بالناس ، قالت عنه: كان غامض الطباع ، تحبه الطيور والضباع ، مات واختفت جثته يوم هرع الناس لدفنه!! كل امرأة تريد طفل لا بد أن تنام في غرفته ليلة ، كل من لديها ابن أو زوج سجين اشتاقت لأوبته ، كل فتاة تروم الوصال بمن تحب ، أنتصف الليل.. قالت:

- توكل.

- تعالي معي.

- ليس قبل أن تنال كلمة العفو منهم.

سرت ، نبج كلب ويان رجل ملثم..صباح:

- أبشر يا أخ نجوت.
- لست من يطلب النجاة.
- وكل من معك ، هو ناجي.
- تراجع هارباً ، وصلت إليها ، كانت متوجسة خيفة.
- ابشري.
- مشينا حتى مطلع البيت ، كان الظلام يبدد ملامح الأشياء ،
- جلسنا على فراشٍ وثير.
- لا بد أنتما من ديار غريبة.
- وعد الرجال حق.
- ومن قال غير ذلك.
- معي فتاة تريد الحياة.
- إن كانت تبغيها فلها حياتي مع حياتها.
- تقدم جمع رجال ، كانوا متأهبين للصيد ، أو غارة على (النقرة)
- لعنق الرقاب ، تراحبنا وقدموا ما لديهم من لذيذ طعام...!!
- دعها تذهب إلى الحريم.
- لا داعي يا رجال ، هي من لحمكم ودمكم.
- ساد برهة صمت ، أجب الرجل الذي استقبلنا:
- فهمت مرادك ، ليس من طباعنا أن ننكث العهود ونخون
- المواثيق ، هي أختنا إذأ.
- تراشقت البنادق إيذاناً بعودة المياه إلى مجاريها ، خرج الرجال
- إلى غايتهم ، بقيت وحدي على فراشٍ وثير تحت الأثير ، قبيل الفجر



شعرت بجسد يندس معي في الفراش ، لم أكن أمتلك زمام وعيي ،  
كنت مرهقاً أو مسحوراً ، شيء من هذا القبيل لما يزل يراودني ،  
فقدت صوابي ، وحين نهضت كنت خارج أسمالي ، وكانت  
(حمارة) في لحظة ولادة ، بصقت عليها وتعوذت ، ارتديت أسمالي ،  
رحت أجرجر أذيال الخيبة بحثاً عن حلٍ يوقف زحف الجفاف في  
ضروع حلال قومي...!!

\* \* \*

كانت رؤيا تكرررت لعدة ليال ، لم يصدقن أحد ، وحدها  
كالمليحة) تنبأت بما في الغيب من كوارث ، ستحل بقومي وتشردمهم  
كالحمر المستنفرة ، قالت: (سيندمون وتكون أنت قبلة أنظارهم ،  
ستغدو سيد القوم ياأخي...!!) ، رأيت سحباً تجرجر نفسها بثقل ،  
تتراكم فوق مرابع القوم ، وتهطل أمطار غزيرة لكنها ترتد قبل أن  
تلامس الأرض ، كانت هناك فتيات من غير أسمال ، يضحكن  
بغنج ودلال ، لم يفلح أحد في تفسير رؤيائي ، بقيت ألح وكانوا مني  
يسخرون بل تطاولوا في غيهم وراحوا يتقولون أقاويل أو أباطيل  
منسوجة حسب ما يشتهون ، ركب رأسي الجنون ، قلت سأتي  
ببرهان ما رأيت ، إن كنتم للرؤيا غير مؤمنين...!!

\* \* \*

كان الصباح في أوله ، تسللت من منامي دون أن أشعر  
(الحمارة) بذلك ، مشيت نحو ساعة أو يزيد ، وصلت إلى مشارف  
تل كبير ، لاح بيت طين ، وجدت بئر ماء في باحته ، أدلت الدلو ،  
سحبته وشربته ، جلست وألقيت بجسدي في ظل ظليل ، لم أعرف  
كم نمت ، مسدت لحيتي عرفت من خشونتها أنني استغرقت دهرًا  
وربما دهور ، كان جسدي ينضج لهفة تنامي ، شيء في ذاكرتي ،  
شيء جميل أكاد ألتمسه ، رأيتها شجرة عملاقة أينعت ثمارها تحت  
وهج شمس ساطعة ، هززت رأسي ، كانت رؤيا واضحة ، رحت  
أبحث عن مغزل لأنسجها على نول الحقيقة ، حكّت إطارها بخيوط  
من ذهب كي لا تذهب..!!

\* \* \*

عند مشارف فجر جديد وصلت أرض عشيرتي الأقربين ، لمحت  
بيوتات متناثرة ، بيوتات متطاولة ، كأنها أعجاز نخيل لا روح فيها ،  
كدت أن أقفل راجعاً ، داعبني ظن أنني أخطأت الاتجاه ، كون  
الأرض ليست تلك الأرض التي صلت وجلت في تشعباتها ، بيد  
أن نهيق حمار أيقظني من سبات طويل ، وقفت أستطلع غرابة  
الأشياء ، من بعيد لمحت عجوز تلمس دربها بعكاز ، حثت سيرتي  
ووقفت قربها:

- أين أنا خبريني يا عجوز.

- أنت في ديار أبو (التوأمين).

تهاويت أرضاً ، لم تكذ تنهي كلامها ، صحت بها:

- مليحة...!!

- صوتك صوت عبيدال.

- أنا هو..أنا هو.

تعانقنا ودخلنا بيت لم يكن بيتنا القديم...!!

- ما هذي الأحمال ياأخ.

- هي مراد راودني وتفسير حلمي القديم.

- لم يعد ينفع بعد الذي جرى.

- نجربه على أقل تقدير ، ربما يتحسن المصير...!!

\* \* \*

ألبسنا كل (تيس) سروالاً ، كي نستتر عوراتها ، بعدما راحت  
الغيوم تستحي من أهل الأرض ، كفكفت دموعها ، وحدث البلاء  
العظيم ، جفاف الحال والمال ، تقاطر القوم من حولنا..صاح رجل:

- ألم تكتف بالحمير يا أبو التوأمين.

- دعوه يعاشر التيوس هذه المرة.. (قال آخر).

كنت أطحن غضبي ، وأنا أسمع ما كنت أسمعه من كلام غير  
لائق قديم لا يترك الألسنة.. قالت امرأة:

- ياقوم ألم أقل لكم (عبيدال) اختفى من أجل غاية.

. (إنزول) جاءنا بلبسان للصخول.. (أجابت امرأة).

صحت بهم:

. ويحكم استروا عورات حلالكم تدر ضروعها باللبن ، تلك هي

تفسير رؤياي للقحط الساري يا قوم...!!

قهقهت الناس ومضت...!!

\* \* \*

كان اليوم مغبراً ، توقعت أمراً جليلاً ، ما هي إلا ساعة أو يزيد  
حتى حامت طائرات مثل الغريان حول المكان ، مركبات عساكر  
تجرجر أثقالها ، أحاطوا بنا ، قيدوا معصمي والقنوني في سجن  
(نقرة السلطان)...!!

\* \* \*

استقبلني أول نزيل:

. ما هي جريرتك يا شيخ.

. كنت بحاجة إلى ألبسة تستر عورات (صخولي) بعدما شاعت

الفتنة وانقلبت أحوال العباد ، رأيت في المنام أن فروجها المكشوفة

تجلب النكد في زمن بات البشر يلقي ما يستره ، كنت قصير

الحول ، وجدت أقمشة كثيرة تتلاعب بها الرياح على الجدران ،

قلت لا بد أن أخيار من الناس وضعوها نذوراً للفقراء والمحتاجين.

- جريرتك جريرتي يا رجل ، بكى طفلي من أجل ثوبٍ جديد  
ليستقبل به العيد ، وجدت قماشة على جدار ، أخذتها وصنعت  
منها ثوباً له ، وشوا بي الوشاة والقوني في غياب هذا الجحيم.  
- أين هي جريرتنا يا أخ...!!  
- لقد قمنا بتمزيق (لافتات) عليها وصايا وخطب (الحاكم).. يا  
رجل...!!

\* \* \*



## لا كلب ينبج بوجه مولانا

زعموا أنها هلوسات وتندر ، فاكشفوا - بعد حين - إنهم واغلين  
في متاهة ، لم يقر لهم بال ولم تهدأ نفس ، وكلّما تدافعوا صوب  
مضيف مختار القرية ، زادوا من كمية الزيت على النار ، آراء  
تتناثر ، أفكار تتناطح ، وحين ينفلت خيط القضية من بين أيديهم ،  
تلتقي - على مضض - ألسنتهم عند فكرة واحدة ، معاً تلهج  
ألسنتهم:

- هذا عقابٌ أليم من العليِّ القدير...!!

\* \* \*

شيء عجيب ، ينفيه البليد قبل الرشيد ، من أحدث هذا الجدل  
المتنامي ، وسلب راحة لياليهم ، ولد شقي منبوذ ، تزوي حواجب  
كل عين ويتعوذ كل لسان لمراه ، شاء القدر أن ينفلت من قبضة  
الهلاك ويغدو على مر الأيام كومة شؤم - كما وصفوه - تكبر وتأكل  
الرؤوس ، تحرق القلوب ، ولد أقرع ترعرع بفضلهم ولولا أعطياتهم  
لدسّ كما دسّوا أخوته الذين سبقوه في الولادة في التراب ، تحركت

مشاعر غيورة ، اندفعت نفوس ثائرة ، ونقلوا أمه الدميمة إلى مشفى  
البلدة ، جاء الوليد أملس الرأس ، أفضس الأنف ، بجواجب كثة  
وعيون صغيرة وقامة غير متناسقة ، طويل الذراعين ، قصير الطرفين ،  
رفضت أمه أن تدسه في التراب أو تلقيه على مقبرة القرية لثلاث  
ليالٍ ، وتصوم أو لا تتكلم إلا رمزا ، عسى أن يسترد هيئته البشرية ،  
راح ينمو بشكلٍ مريب ويوم مات أبوه أنابوه عن عمله ، راعي قطع  
القرية..!!

\* \* \*

حاولت عيون أن تتربص أو تتلصص على ما يشاع ، منهم من  
أراد تكذيب الحكاية جملة وتفصيلا ، منهم من نهضت غيرته ،  
رغب أن يثبت رجولته مقابل رهانات مقبوضة ، رهط ظل ينشر ما  
هو يشيع الرعب والفرع ويسلب ضوء العقول ونبض القلوب ، رهط  
ظل ينسج أو يغزل تفاصيل مهولة ، وراح يمرح على نيران الذعر  
المتنامي بين رجال ونساء ، أطفال وصبايا قريته..!!

\* \* \*

ليس من حل أمثل ، هكذا اتفقت الآراء من بعد طويل نقاشٍ  
وعناء ، وجدوا (الملا) خير من ينقذ سفينتهم من التيه . كما هو  
معروف . رجل أيمان قويم ، رجل مستقيم ، بيده أسرار الدين كلها ،  
يعرف دروب الشياطين ، يعرف مسالكهم ، يمتلك سبل مهلكهم ،



لديه حل لكل سحر وشعوذة ، نادى عبر مضخمات الصوت المزروعة على سطح مسجدهم ، هرع إليه الرجال ، تبعتهم النساء ، تقاطر صبيانهم وصبيايهم أمام الباب ، يومٌ مشهود ، حفل بوعد الوعود ، ما عرفوا أو ذاقوا هكذا فرح من قبل ، صلى بهم صلاة البلاء ، خطب خطبة مشهودة ، ألحقها بوابلٍ متناغم من تسبيحٍ جميل ، وتهليل أعرش أبدانهم وسكن أذانهم ، واعدتهم أن ينقذهم من بلايا القزم الضليل..!!

\* \* \*

في ظهيرة لا ترحم ، تناول (الملاّ) وجبة طعام دسمة ، دجاجة محمّرة على طبق رز عنبر ، طاس لبن غنم ثخين ، تهنّدم بمسوحٍ جديد ، مسوح جيء به من أجل المهمة النبيلة ، تعطر بالمسك والزعفران ، وخرج صوب الحقول الفائرة من جحيم شمس تموز ، قرب جدول أو ترعة ماء ، حيث شجرة سدر وحيدة ، وجده يتوسد الأرض ، جسد ضئيل متهالك في فيء ظليل ، أمامه بمسافة لا تعدو أكثر من أمتارٍ عشرة ، يسترخي قطع أغنام ، على بقايا حقل قمح محصود ، كلبه باسط ذراعيه قرب قدميه ، ما أن رآه الكلب هش ويش ذيله ، وقف عند رأسه ، قام الكلب وراح يلحس وجه سيده ، قطع الأقرع قيلولته ، قفز ووقف ، تلعثم وأرتبك..!!

- يبدو أنها قد شبعت وارتوت.

فقد الولد لسانه ، تحجرتا عيناه ، ظلّ . كطريدة في شرك أو

قفص - يستعمره ذعر مباغت ، إذ ليس من لسان يسعفه ، ولا حيلة يدرأ بها عن نفسه عما سيطرحه عليه القائم بأعمال الشؤون الدينية والدينية ، لقرية ظلّت تناصبه التذمر والنبد ، وعدم السماح له أن يكون قريباً منهم ، مدّ من دون وعي يده ولغاية معروفة تجاهل (الملاّ) ذلك ، أشاح بوجهه عنه وهو يكظم غيضاً مباغتاً تنامى في أحشائه ، أقرع أفطس واجماً يقف إزاءه..!!

. بركة السماء واسعة ، شملت هذه الأرض بنعمٍ قد تطول.

توقف لحظة قبل أن يواصل كلامه:

. ألا تمل العزلة..!!

تتدرج كلماته ، كلمات تتعثر ، كلمات لا تتشكل بيسر ، ساجماً في غشاوة تكاثف ، رعشات تتفاقم ، تغزو بدنه ، أشباح تتحرك في مدى العين ، وصمت مهيب يطبق على الحيوانات المستلقية تحت قسوة الشمس ، كان الأقرع ينحت عينيه في صفحة من وجه (الملاّ) ، الذي راح يستطلع وهو يجول بعينه المكان ، بحثاً عن علامة فارقة أو خارقة ، كي يبدأ هجومه الديني ، ويسحق بأيمانه الكونكريتي الشيطان في عقور داره ، حرب شعواء تكفل عناءها ، وتسليح بكل آية رادعة من أجل النصر المبين ، إذ ليس بوسع الشيطان أن يمضي في فلاحه في حضور الأيمان..!!

. أتدري لم أتيت..!!

صامت ظلّ ، استدار (الملاّ) ونحت بصره ، وجه لم يحصل - رغم تواجده منذ سنواتٍ خمس - أن رآه من كئيب ، تساءل إن كان

بإمكان إنسان ما أن يحمل حضارة البشاعة كلها ، باغته غصة  
وحضخضته رجفة ، كادت أحشائه أن تندلق ، تمسك بالحبل المتين ،  
أستلم خيط تسبيح لا ينتهي ، هاتفه ظن واستولى عليه فزع ، ندم  
لتسره في معالجة محنة ظلت تأكل بأعصاب الناس ، كان يجب أن  
يتأكد من أسلحته الإيمانية قبل أن يركب سفينة الإنقاذ ، لينقض  
على صبي لم يبلغ الحلم رغم تطرفه ، عليه أن يواصل معركته  
وليس هناك من فرصة لاحقة لاستئناف القتال ، لقد توكل وعزم  
وإن خسر فليس هناك من يرحمه ، انحنى الأقرع وغرف بطاسة  
نحاسية غرفة ماء من الجدول الجاري ومدّها ، كان (الملاّ) واجماً  
كنحت ، يخوض حرب سرّية مع شرنقة ألثفت حوله ، شرر تشظى  
من عينيه ، لسانه اندلق خارجاً وبدأ يتشقق ، شعر بجاذبية تسحله ،  
قوة خفيّة تدفعه والأرض راحت . من تحته . تميد ، لم يعد يعرف  
كيف وصل الماء إلى يديه وكيف كرهه ، لقد توقف كل شيء ،  
بات يمتلك ناصية نفسه وأسترد توازنه ، كان الأقرع بصمته ينحت  
بصره فيه ، لقد رأى (الملاّ) ما رأى ، خيوط دخان كأفاعي تتحرر  
من الأسر ، بدأت تنمو وتتجه صوبه ، ليس بوسعه أن يفعل شيئاً ،  
ظلّ واقفاً تغزوه خيوط بيضاء ، تنسج حوله رداء لذة ونعاس ،  
سعادة تضاهي سعادات الدنيا تسكنه ، تخلق به في سماوات قصية ،  
طار فوق غيوم دافئة ، ما الذي يجري..؟؟ خمس سنين وهو قائد  
جمع الرجال في صلوات ما شعر قط بهكذا نفحات سرور ،  
نسمات ترفعه وأخرى تدور به ، ما الذي يحصل..؟؟ ، ها هو رهن

قوة تجرده من واقعته الروتينية ، تحذف ما هو محشور في ذاكرته من  
مراسيم الحياة الراكدة ، لا مفر...!! حرب بدأت وعليه أن لا يدع  
الشیطان أن يمضي ويسادر في طغيانه ، هزيمته يعني طرده من فردوس  
الحياة قبل أن يغدو كما صرح بلسانه يوم الخطبة المشهودة: - لن  
أكون كلب نباح فقط...!! سيعض بنواجذه على كل سلاح ينفع يوم  
اللقاء . هذا ما صرخ به . وقطع مسافة حافلة بالأشواك والأدغال  
والمسطحات المائية قبل أن يلتسمه ، كل ما حوله يشاركه الطيران ،  
الحيوانات استفاقت وراحت ترقص ، الطيور قدمت وحامت حوله ،  
تهالك متوسداً الأرض...!!

\* \* \*

وحده يقف ، أرض تمتد وتبدو داخنة ، سرب طيور تحلق بذعر ،  
أنتبه إلى عريه ، تناوش أسماله وارتداه على عجل ، رشق وجهه  
بجففات ماء ، ساده الفرح ، لقد ظنّ كل الظنّ ، أن ما جرى محض  
أضغاث حلم دهمه في قيظ الظهيرة ، فرح لأن ليس هناك من واشي  
سيفضحه ، قرر أن يجمع الرجال ويزيح من بالهم كل ما شاع ويشاع  
من حكايات فوق العادة ، سيقول لهم: عيشوا من جديد وتناسوا كل  
ما أتاكم من خزعبلات...!! المشى وهو يرسم مراسيم الفرح ، ستزغرد  
النساء لنصره المبين ، ستطلق البنادق حممها لدفن حكاية صبي  
منبوذ شاعت أقاويل عنه ساحر مكّار ، يحوّل من يعكّر مزاجه إلى  
حمار ، أنتبه لنباح كلاب ، شيء غير معقول ، وقف يستطلع ،

كلاب القرية تعرفه ، لا بل تهابه ، لا كلب ينبج بوجه الملائ ، شكله مهيب ، بمسوحه المفضفض وعمامته الحمراء ، فرض رعباً مذ وصل إلى القرية على كل كلب لا يتورع النباح بوجه الغرباء ، حيوانات القرية باتت تحترمه ، اكتشفوا أنها تصمت أوان خطبه الدينية ، تدارس في ذهنه ما جرى أو ما تهيأ له ، حاول أن يقنع أو يصطنع لنفسه جواباً يجابه به كل سؤال مباغت ، داعبته فكرة إن كانت شياطين غريمه تلبست لبوس الكلاب وجاءت لتستأنف حربها ، هز رأسه وسار من جديد صوب المسجد ، قرر أن يبكر بالنداء لصلاة العصر ، سيصلي بهم ويلقي عليهم تفاصيل معركة شرسة ، كلفته خزينه الفكري مع شياطين أبالسة جاءت كالجراد تزحف ، لتعكير حياتهم ، تفاجأ بقفل يحكم رتاج باب المسجد ، لم تمهله خطوات تضرب الأرض أن يتدارس حقيقة الذي يجري...!!

. ها.. مولانا...!!

خافضاً رأسه ، استدار نحو القادم ، شعر لحظتها بوهن يفكك أرادته ، رفع رأسه ، لمح لمعان العدوانية المرتمية في عيني المختار ، ليس ثم احتمالات ، ليس ثم من يفيض الاشتباك الوارد ، عليه أن يحكي من غير لف أو دوران ، من غير تأويل أو تفسير ، كل ما جرى..حشرج صوته:

. ما خطبك يا مختار.

. أندحر أيمانك...!!

من شاق هوت مطرقة على رأسه ، لا داعي للخجل طالما بان

الخيطة الفصل الذي بدد الظلام ، فهو يدرك أن المؤمن حياته عبارة  
عن حروب صغيرة وكبيرة ، عليه أن يكافح ، أن يلعن الحياة الدنيا ،  
أن يخسر دائماً وأبداً ، طالما الفردوس لا يلججه إلا المجاهدون ،  
الخاسرون في الحياة كل شيء.

. ما خطبك يا أبا (شعلان).

. لا حجة تنفعك.

. كل شيء بمشيئة الواحد الأحد.

. كان يجب أن تفحص محرك إيمانك قبل أن تتوكل عليه!!!

\* \* \*

الآن وحده يجابه التيه ، لقد خسر النعيم الذي عاشه ، أين  
يتجه ، لا بد أن أخباره ستسبقه ، سار باتجاه الفك الداخن الذي  
يبتلع كرة الشمس كل غروب!!!

\* \* \*

تناقلت الألسن النبأ ، أقرع القرية يدحر (الملاً) في معركة  
المعارك ، من لسان لأذن تمضي الحكايات ، تتجنح وهي تضيف ما  
يضحك ويدمع العيون ، من جديد بدأ الذعر يكبر ، صار الأقرع  
نجماً ساطعاً ، تهابه النفوس ، تحسب له حسابات دقيقة ، كلما بان  
أو مر به أحد ، وشاعت من جديد ، حكاية غير مسنودة ، الأقرع  
أنتقم لشرفه ، حكاية صارت حقيقة ، جاء أن (الملاً) يوم حلّ

القائم مقام الشؤون الدينية للقرية ، تعثر ذات مساء وسقط ، وجد صبياً يشد مسوحه ، يقولون:ركله بقدمه ويصق عليه...!!ها هي أفلاك الزمن تدور ، حول الباغي تنسج خيوط الدوائر ، صارت الألسن تلهج: (بصقة ببصقة) يالبصقات الأقرع...!! صفعه بصفعة يا لصفعات الأقرع...!! تمضي الحكايات: لا.. لا.. هو لم يبصق كما بصق مولانا ، هو لم يصفع كما صفع مولانا ، الأقرع كان أشطر ، لقد أرقصه عارياً مع حيوانات القرية ، من جديد بدأت ألسن عابثة ، تغزل حول نول الذعر حكايات جديدة ، صار الولد الشيطان يحرك الأشجار عن مواضعها ، صار يوقف جريان الماء في النهر ، صار يجعل الحيوانات تمشي على قدمين ، صار يعري كل صبي يسخر منه ، صار يجعل كل رجل يشيح بوجهه . كلما يمر- يركض وهو يشخ على نفسه ، صارت الدميمة أمه أميرة ، نساء القرية يخدمنها ، كل واحدة تأتي وهي تحمل اللبن والبيض وما يجلبه زوجها من البلدة من فاكهة وحلوى ، أستفحل الخوف ولم شمل الرجال ، أعادوا كل كلام لأكوه ، صار الليل يتبعه ليل آخر قبل أن يستقر الرأي على قرار فرضه المخترار ، اختاروا الوقت الملائم ، رسموا بكل يقين حدود الرغبة ، لا نصر يتحقق إلا بتضحيات جسام ، وكثير من الجراءة ، رهط شباب أشداء في اختراق مسارب المجاهيل لا ترتجف أوصالهم أوان الفجائع ، سترهم الليل بعباءة الأمان ، وجدوه يشخر في سابع النوم ، ملتحمأً بصمته المعهود ، ربما بشياطينه العنيدة ، لم يعد هناك في الرأس مكاناً للتفكير ، تعاهدوا على نحره ، ارتفعت عشرة أيدي

تتسلح بمدى مغموسة بالسّم ، عشرة أيدي هوت دفعة واحدة ، لا صوت.. لا صراخ.. لا بد أن الطعنات جاءت في الصميم ، غمرتهم الفرحة وهم يتسللون من حيث أتوا ، ستفرح القرية وتنحرف الخراف كما تعاهد المختار ، ستضرب الطبول وترقص النساء ، الصباح رباح ، هكذا تلهج الألسن ، لا بد أن الصباح القادم سيختلف عن كل صباحاتهم العسيرة ، مع تباشير الفجر صرخة هزت البيوت وأخرجت الناس ، تعالت الصرخات وخرج كل واحد وراح يركض وهو يتقافز ، نهر دم مهتاج يزحف ويطوق القرية ، اكتشفوا أنفسهم واقفين خلف جسد ضئيل يركع ويمد يديه إلى السماء ، ما الذي يجري..؟؟ لهجت عشرة ثغور ، لقد أصابوه في الصميم ، رأوا بأمر أعينهم رغم الظلام كيف شخب الدم من ثغور فغرتها النصال العشرة الفاتكة ، وجدوا أمامه حماره موؤداً ، هرعن النساء صوب أمه ، قبلن يديها وقدميها ، رضخت لتوسلاتهن وجاءت إليه ، قام واستحال الدم إلى ماء بدأ ينسحب إلى النهر ، توجه الأقرع وقاد الحيوانات النائحة صوب الحقول المستفيقة ، بينما الرجال العشرة حملوا جدث الحمار في موكب مخيف صوب مقبرة القرية ، دفنوه طمعاً بغفرانه وعدم مساسهم بسوء..!!

\* \* \*

من وهبه هذه القدرة الخارقة..؟؟ سؤال ظلّ يردده كل لسان ، من جديد بدأت الألسن تنحت في صخرة الماضي بحثاً عن مفتاح يهدي



إلى بر القضية ، متاهات تسحب الخيال ودهاليز تردع النفوس ، حتى جاء الخبر اليقين من كهل قرر أن يمك خيط القضية ، ثم أوراق مهملة ، كيف تناسوها ، أوراق تشير إلى أنه تعلم السحر ، والسحر كما قال (الملا) المندحر في خطبته الجهادية: ليس هبة موهوبة بل رغبة مكتسبة..!! عادت إلى الذاكرة تفاصيل قديمة ، ذات يوم أتى القرية قوم من الغجر وخطوا رحالهم ، ويوم رحلوا اختفى الأقرع . هذا ما قاله الرجل الكهل . ونفشت حكاية على أن الأب قام ببيعه إليهم ، تخلصاً من قباحتة ، لكنه ظهر بعد ستة أشهر ، وراح من جديد يختلي في التل الأثري جوار مقبرة القرية..!!

\* \* \*

- كيف هي أحوال القرى المجاورة.  
- انقطعت أخبارهم عنّا.  
- كلكم أبناء بطن واحدة.  
- لا حيلة لدينا.  
- سأسعى لإصلاح ذات البين إن كنتم في خلاف.  
و حين عرج المختار صوب السبب..!!  
أجاب الرجل الغريب:  
- السحر يبطل السحر.  
رجل بلحية كالقطن المندوف ، قدم في المساء وحل ضيفاً على بيت المختار ، يبدو أنه يتظاهر بالكبر ، لا يحرر كلامه إلا بعسر ،

أبرموا معه اتفاقاً ، أنفرد بمن للسر كاتم ، أختار اليوم الملائم لإنجاح  
معركته ، عند الموعد المضبوط ، تسلل الرجل الغريب بعباءة امرأة ،  
كانت النساء تحت الرجال هكذا اقتضى الحال ، فكل رجل جمع  
شهوته لثلاث ليال ، وبينما كان اللهاث ينفلت من الغرف الطينية ،  
كان الرجل الغريب يسكب شهوته في ثقب ( مخدة ) الأقرع ، عاد  
يلهث وهو ينز بالعرق ورائحة بغيضة تتناثر من جسده ، أجمع  
الرجال حوله ، ظلّ يلتهم ما قدم له من لحم ضأن مشوي ، راحت  
الرؤوس تهتز والخيال ينفلت وتصور البعض أنهم سيخوضون  
معركة مروعة ، لا بد أن يعود الأقرع ويكتشف بدهائه أو من خلال  
شياطينه اللعبة القذرة ، هذه المرة لا يرحمهم ، سيجعلهم يسبحون  
في الفضاء عرايا ، لن يرضخ لتوسل ، استحال النهار إلى دهر من  
الخوف والترقب ، عند الغروب كانت العيون تتلصص من خلال  
شقوق وثقوب الأبواب ، عاد الأقرع وعادت الحيوانات إلى المنازل ،  
تحول الليل إلى كابوس جاثم سلب نومهم ، وفرض عليهم أرق  
ثقيل ، عيون الرجال متحجرة ، قلوبهم منتفضة ، وجدن النساء  
فرصة للقاء وبدأن يتفاخرن لما جرى لهن في ظهيرة استثنائية ، إذ لم  
يحصل أن دنا رجل من زوجته في هذا الوقت بالذات ، كن  
منتشيات لقوة الفحولة ومرات الفعل ، لما يزل صوت اللهاث يضج  
في أحشائهن..!!

\* \* \*

في الصباح كان الرجل الغريب يمسد لحيته وكانت العيون تحرث  
صمته ، كانت الحيوانات تجأ وتستغيث ، حين تناول فطوره ، وجد  
الناس في ذعر ، قام وخرج وقاد القطيع كما نص بند من الاتفاق  
صوب الحقول...!!

\* \* \*

في المساء ، أفتتح المختار الجلسة:

- خبرنا عن مصيره يا شيخ.

- لا يعالج السحر إلا بالسحر.

- أرحنا لتتفرغ لأحوالنا.

- عدوا أربعين ليلة قبل أن تروه بأم أعينكم...!!

\* \* \*

بيت يثير الريبة ويفزع كل من يحدق فيه ، لا أحد يتجرأ أن  
يدنو منه ، بدأت الرؤوس تجتهد لإزاحة كل ما تراكم من  
حكايات ، والتفرغ الكامل للفرح الجديد الذي جلبه غريب أديب ،  
جاء في لحظة حاسمة وأنقذهم من التيه الذي نشب مخالبه في  
نفوسهم ، بيت ظل مغلقاً ، كان قرار الغريب تهديمه ولكن ليس قبل  
أن يأتي اليوم الموعود.. قال لهم:

- سنهدمه ونبني مكانه بيتاً لفرحي بعد الليلة الأربعين...!!

\* \* \*

من كل حيوان زوجين اثنين ، صحيحة غير معيوبة ، أربعة رؤوس من الغنم ومثلها من الماعز والبقر والبط والدجاج والأوز والحمير والخيول ، مع الفرحة الكبيرة ، سيتزوج صغرى بنات المختار ، هكذا تم الاتفاق يوم إبرام القرار...!!

\* \* \*

في صبيحة اليوم الموعود ، تقاطر الرجال وتبعوا الغريب ، قادهم صوب الجامع وصلّى بهم ركعتين وقادهم صوب البيت المهمول ، كسر المغلاق ، تحررت أهات وتناثرت تمتات من الرجال وهم يلجون خلف الرجل الغريب وهو يقود المختار ، تقدم الغريب وأنتزع من على الحائط كيس عليه غبار ، مزقه وتناثر بقايا أوراق محترقة ، داسها بكعب حدائه وصاح:  
- هذه طلاسمة يارجال.

جالت العيون واحتدمت الألسن قبل أن يؤشر وهو يرفع كفه:  
- صار لقمة ممضوغة في فك الجحيم.  
عادوا بعد أن أوعز لفتيان القرية أن يبدؤوا بتهديم الدار...!!

\* \* \*

- يا أبناء عمومتي وخوولتي.. أشهدكم على زواج صغرى بناتي من منقذنا ، وعدُّ أبرمته وشهدتم عليه...!!  
سكت المختار وانطلقت صليات زغاريد من ثغور النساء ، رقص

كل رجل رقصتين ، رقصة لزوال الساحر المكّار ورقصة لزواج الرجل  
الغريب من بنت المختار...!!

\* \* \*

سبع ليال من السرور ، سبع نهارات من أكل اللحوم ، عاشتها  
القرية وفي صبيحة اليوم الثامن عرج صوب القرية رجل يركب على  
حمار ، كان يتحدث عن قزمٍ وعجوزٍ ينبشان قمامة خارج حدود  
مدينة (جلبلاء) وحين سألوه عن شكله أقسم لهم:  
- رأيتهما يأكلان (الخراء)...!!  
حين وصل الخبر إلى الرجل الغريب ، هزّ رأسه وقال:  
- هذا مصير كل ساحر...!!

\* \* \*

لم تسترد القرية كل عافيتها بعد ، أربعون نهراً مرّت وفي  
صبيحة اليوم الحادي والأربعين هرع صبي صوب أمّه وهمس برعب  
في أذنها ، سرعان ما شاع الخبر من فم لأذن ، من امرأة لبعلها ومن  
رجل لرجل.. بادئ ذي بدء قالوا:  
- هلوسات جديدة ياناس...!!  
لكنهم اكتشفوا - بعد حين - أنفسهم في اجتماع وخصام...!!

\* \* \*

كان يجب أن يتحرى قبل أن يدافع عن سمعته ، ظلّ ساهراً  
تتناوشه الظنون والكوابيس وعند الصباح أندفع (المختار) ليقف  
بنفسه على الخبر الأليم ، تعثر وتماسك وهو يستند بجدار البيت  
الجلديد ، وقف يبحث عن مسند أو دليل يقوده ، تهاوى على الأرض  
وراح يزحف على يديه باتجاه الرجل الراكع ، جف حلقه وخرس  
لسانه وتحجرتا عيناه على منقذهم من البلاء العظيم ، إذ لم يكن  
الرجل الغريب سوى ذلك (الملاّ) الذي طرده قبل عشرة أعوام ،  
كان يركع بهيبة وخشوع رافعاً كفيه إلى السماء وأمامه قطع  
حيواناته ترقص على قدمين!!

\* \* \*

## الذبيحة

(عبد كعيد) تعرفه بلدة (جلبلاء) ، إنسان بائس ، خارج نطاق الواقع والخدمة..!!

الآن يقبع في سجن نفسي إنفرادي ، يجلس أمام عتبة البيت ، تتحاشاه العيون ، رغم وجود مسحة سلام ويشاشة على محياه ، تعسكر حوله جحافل الذباب ، تستقطبهم استسلامه المتواصل للصمت والعزلة ونمو الروائح المغربية من حوله.

لم يتبدل أسلوب حياته ، قبل الواقعة أو بعدها ، عاش شطراً من حياته في مصحح الدولة الكبير ، قبل شموله بـ(رحمة) غير متوقعة ، (عفو عام) صدر لخمسة وثمانين ألف (نزلاء ، سجناء ، موقوفون ، مودوعون ، مشتبه بهم) توزعوا في السجون والمعتقلات والزنازين ، شاع أن (راعي قطيع الأمة) فلت من حضيرة الخنازير العالمية ، فحق عليه تكالب الأمم المتضررة ، لذلك خاف على مقامه المحسود وأصدر عفوهُ على مريض.

(مخبل) كلمة موجزة ترميها الألسن بوجهه ، وجهه المتضاحك على طول الوقت منذ ولد وشبّ وشاب و(تخبل) ، لا يعي المعنى العميق للمفردة ، يستقبلها بود وبشيء من الحنين واللوعة ، أو رغبة

صامته تنطقها بوضوح عينيه ، جملة ترحيبية محتملة..!  
(مخبل).. يسمعها موسيقى تتسامق به لنشوة مأمولة ، يتصورها  
فقرة ترحيبية مستحدثة ، أو نعمة مواساة شكلية ، أوجدتها الظروف  
المتفاقمة.

عيناه لا تستحيان ، تلاحقان بهوس منطوق ، كل فتاة أو امرأة  
تمر على مقربة منه بنظرات قد تفسرها الألسن (لا ترحم).. أو:  
. فيها معنى...!!

الكل توقع بيقين قاطع (شئقه) ، سيعلق من رقبتة النخيفة أمام  
أعين الناس ، عبدة لمن يتجاوز على أمن البلاد وحقوق الآخرين في  
زمن النار والحديد و التيزاب . المركز.

الموت ليس عارضاً طارئاً في كل مكان ، بعض الناس مهمتهم  
(صناعة الموت) ، أحياناً يأتي الموت واجباً وطنياً روتينياً مصطنعاً ،  
الناس من فرط الجهل أو التقاعس المتخثر فيهم قسراً تقول:  
. قدر مكتوب على الجبين...!!

أسباب كثيرة تسقط الناس في بالوعة الموت ، القهر الاجتماعي  
والحرمان والجوع والطلبات البيئية والضجر السياسي السائد ، كلها  
شكليات روتينية لا تستحق من أجلها هدم (بنين الله في الأرض) ،  
ناس تجد نفسها في دائرة مغلقة ، قادت نفسها بنفسها إلى حزن  
(هازم اللذات) ، تبدأ بالندم وععضة أنامل اليدين ، قبل رفسة  
خلع الروح:

. تشهدوا.. هذه قسمتكم في الدنيا...!!



كلمات تلقينية ، تمررها ألسن جاهزة لأذان مائة ، تخفيفاً لعناء الصدمة.

تنتزع (الأمانة الإلهية) من كل جسد يخرج عن قانون الزمن وألف بآء السلطة ، عمليات الإعدام العلني شاعت ، رمياً بالرصاص أو على أعواد المشائق في كل (حارة) وشارع ، حالات جديدة جاءت بها عقول تسهر لصناعة الأمن والمحافظة الحديدية على (معطف) النظام الرخامي.

آخر المبتكرات العقابية ، مركبات شبحية تجر أجساد صارخة في الشوارع ، تمزقها شر ممزق ، فالشنق وارد ومتوقع ولم يختلف عليه غيبان أو عاقلان يوم الواقعة.

(عبد كعيد) لم يكلف السلطة الساهرة ، وقتاً مؤرقاً أو كثير أسئلة روتينية يوم الاستجواب ، قال كل ما عنده في موجز مختصر مفيد مدين ، من غير اللجوء إلى شهود عيان ، أو الاستعانة بوسائل وحشية لدلق الأسرار ، الدليل القاطع على جريمته الكبرى وفره بنفسه ، حمل السكين ، كانت تقطر بدم (بارد) ، البعض رآه (حار) لا يتوقف ، ظل يرسم - على البسيطة - خارطة العذاب الإنساني المهذور المتنامي منذ فجر السلالات البشرية الوحشية ، مذ نحر أخ سافل (قابيل) أخ كريم (هابيل).

ذلك التنقيط (الدماغي) المتقطر من سكين (عبد كعيد) يقود بروية وبحكمة كل (مغفل وصاحي) إلى عالم لا يتوقف عن النباح والصياح ، شهود عيان أقسموا أنهم رأوا الدماء الزكية كأنها خطوط

نملية دائبة تبدأ من بيت (عبد كعيد) ، تجتاز الأزقة والشوارع ، تخترق مجاري المياه القذرة والبرك المائية المتراكمة والمستنقعات المتكاثرة والمزابيل ، من غير أن تمحى.

البعض أقسم أن الدم المتقطر من سكين (عبد كعيد) مرّ عبر كل رقعة أرض أقيمت عليها احتفالات وطنية للموت ، أماكن المشائق وقطع الرؤوس وسحل الأجساد الحيّة ، خط أحمر صارخ ظلّ عسير التفسير على ناس صارت مساكن للذهول ومنابت لعواصف الفساد ، وذبائح خلقت قرابين سياسية ستغذي كل العصور اللاحقة للأمم الساحقة.

(عبد كعيد) رسم على شريحة من أرض بلدته (جلبلاء) سيرة موجزة لحياته السابقة واللاحقة ، رأت العيون كيف كان يمشي بكل فخر وثبات خلاف ما عهدوه ، كمن خرج من معتقل أزلي نظيف الخطايا غني الإحسان ، حاملاً سكيناً يبكي أو ينطق دم.

ذهب إلى مركز الشرطة..قال:

. أنا لست على خطأ!!!

ما زال يصصر ويهذي أنه كان على حق ، ما فعله ليس بملك إرادته ، بل قضية شرعية كتبه القدر في لوحه التعيس ، النسوة عطن عالياً لجهلهن بالشرع ، كونهن ناقصات (دين وعقل) ، توقف عن الكلام الصريح ، بلع ريقه ثم أضاف من غير تردد:

. حكمة وصبر...!!!

. نفّذت ما أمرت به...!!!

تلك كانت جملته الشهيرة في رواق المحكمة ، راضٍ عن نفسه ،  
وَفِي بَنْدَرٍ ظَلَّ يُوْرِقُه ، متخلصاً من ملاحقة الكوابيس المتربصة به  
مذْ أكتشف أَنه نصف إنسان ، طيلة حياته السابقة وربما اللاحقة.  
لم تجد المحكمة ملاحقة قضائية ضده من ذوي (الذبيحة) ،  
تنازلوا عن حقهم المشروع ، اعتبروها (قضاء وقدر) ، من باب (قيم  
التسامح) ، على كل فقير أن يؤمن بذلك ، ولا يعقد الأمور الشرعية  
المقرورة ، الرجل (مخبل) غير مسؤول عن تصرفاته ، خلقه الله  
ناقص عقل ، محروماً من فواصل خدمة الحياة ، الظروف الراهنة  
وفرت له منبر الواقعة ، إنسان غير مكتمل رغم قبوله التنازل الكبير  
من عالمه (اليوتوبي) ، والرضوخ لروتينيات الحياة (الواقعية) قابلاً  
(عقدة النكاح) بامرأة من (طينته) ، فيما بعد التمكن مرة واحدة  
فقط من (تجليلها) بفتاة حملت كامل صفاته ، الشرود والتوهان  
والضحك مع النفس أو عليها.

علاقة حسن الجوار (بطاقة ذكية) ، كارت (فيتو) منحه رحمة  
متعذرة في زمن الواقعة ، زمن مجحف تفسر وقائعها وفق  
(وسوسات) السلطة ونواميسها الهدامة.

الصدقات اليسيرة وما يزيد عن الحاجة الجسدية من طعام تعيس  
فائض وملابس (لنكة) فقدت موضعها ظلّت تتواصل ما بين  
العائلتين المتجاورتين.

لم تجد (المحكمة) سوى تقارير أمنية متوازنة ، وأخرى طيبة  
شائكة ، أكدت بوجود خلل عقلي مزمن أبدي عنده ، رضخت

للأمر الواقع ، واكتفت بسجنه في (مصح) الدولة الكبير.

. جريمة شخصية لا تمس السيادة العامة للدولة...!!

أوجزت المحكمة القرار...!!

ربما هي لعبة قدرية ، يجد الإنسان في كثير من الأحيان أنه إزاء محنة عارضة ، يفقد العقل توازنه ، شيطان المزاج يستلم سفينة المشاعر ، تأتي الدوافع من غير اللجوء إلى الحكمة أو قرار البصيرة الحاسم ، الناس اعتبرت القضية مزحة شائعة ، كون الأشياء المخيفة حين تعلن جهراً ، تولد ردود أفعال مضادة لدى بعض الناس ، كل أهالي (جلبلاء) شهدوا عمليات فصل الرؤوس أو أمطار الأجساد بوابل الرصاص في مناسبات تكاد تكون أيام (وطنية) ، شباب يساقون (جرجرة) بوابل (الكفخات) وسيل (الدفرات) إلى المشائق وأحواض (التيزاب) المركّز ، لأنهم (ورود) ليست اصطناعية ، تبث جهراً روائح جاذبة خارج نطاق الأوامر ، تتزلزل فيهم أحلام كريمة رافضين الرضوخ لتعليمات (مناققة) تطبّلها أبواق ناعقة وتبطلها أمزجتهم التحررية.

(زهرة) أم الضحية ، تجلس على مقربة من (عبد كعيد) ، باب بيتها على بعد خمسة أمتار عن باب بيت (عبد كعيد) ، تعيش عالمها الخاص:

. مسكينة...!!

كلمة تعيها ، لا تحرك الحلم الخالد فيها ، تطلقها ألسن عابرة ، بالها مشغول أبداً مثل هاتف (عمومي) ، جالسة تستحضر لحظة

الواقعة ، نادمة على ما فعلت ، تعضض أصابعها بشكل آلي متواصل ، تعرف أنها تسببت بخسارة بنتها الوحيدة (حسيبة).  
كانت (حسيبة) تركض داخل باحة الحوش ، كانت هي تحلب بقراتها الثلاث العجاف ، الوقت حصار ظالم ، البلاد تجوع وتموع ، كل شيء بال صار له ثمن في يوم (أسود) ، (حسيبة) الراكضة حافية القدمين داخل حوش البيت ، سعيدة بنفسها ، واليوم يوم (عيد الأضحى) ، فرحانة بثوبها الجديد ، الثوب الآتي من وراء البحار والمحيطات عبر (بالات اللنكة) ، اصطدمت بدلو الحليب ، دلقت المصروف الكامل ليوم عائلتها ، ركضت (زهرة) وراءها ، صعدت البنت المرتعبة إلى سطح البيت ، مثل قط مذعور تسلقت الدرجات الطينية التسعة ، وجدت نفسها من فرط الخوف تطير من غير جناحين في هواء ضاج بـ(التكبيرات).

كان (عبد كعيد) يمدد أبنته (مريم) على تراب الحوش ، بيده سكين المطبخ ، كانت البنت تضحك ، هي تدري رغم نقصان خلقها وخفة عقلها ، ربما هي الغريزة المتراكمة في قلبها ، أن أباهما يمازحها ، هكذا فعل في العام الفائت ، أمها (نعيمه) أيضاً واقفة بباب المطبخ قبل أن تبدأ بلعبة الضحك للمشهد ، كانت تفكر بحسرة مزمنة:

. ماذا أطبخ لغداء العيد..!!

تدرك أنّ زوجها ضعيف الإرادة ، جبان الشخصية ، خاف في كل المناسبات ، أن يذبح دجاجات الجيران.

هاجس جدِّي سكن (عبد كعيد) ، ظلّ يرتسم في عينيه ، يندمج معه ، فجر يوم صاحب ، بگر النهوض على أصوات المآذن الصادحة ، أراد أن يحقق رغبة بدأت تثمر وتلح ، رغبة شائعة ، أن يفعل ما تفعله الناس صباح كل (عيد أضحى).

- بنتي (مريم) ضحيت بك!!

في اللحظة التي لامست السكين رقبتها ، سقط (عبد كعيد) على قفاه ، لم يتمالك نفسه ، قام وطرح الهبة الساقطة عليه ، فصل الرأس وسط صياح (نعيممة ومريم) ، مع تناثر صرخة ثالثة كانت أعلى وأشد تأثيراً ، انسكبت من فم (زهرة) الواقفة فوق السطح.  
(زهرة) ما زالت تعضض أصابعها ، لا تعطي الكلمة الصادرة - مسكينة - من أفواه العابرين اهتماماً ، تتمنى عودة المشهد كي لا تلحق هذه المرة أبنيتها حتى لو حطمت كل شيء ثمين.

(عبد كعيد) على مقربة من أم (الذبيحة) ما زال يصر ويهذي بوجه كل كائن يمر ، أنه أفندي (بذبيحة) متواضعة - بدلاً عن أبنته (مريم) - هبطت عليه من الفضاء فجر يوم (العيد).

\* \* \*

## عودة الهياكل

لم تسمع صوت شرخ عباءتها حين سحبتها من المسمار المعلق وراء الباب ، اندفعت تركض ، وجدت العالم من حولها غائماً يتناطح ، أشباه بشر تراهم يتصادمون ، يذويون ، الطرق أمامها تنفتح إلى مسالك خداعة ، يتوتر جسدها ، شيء ما يسمر قدميها ، تتوقف ، بكم عباءتها تمسح دموعها..من جديد تندفع ، تهول. الناس جحافل تتقاطع ، عيناها يمنة تنظر ، يسرة تنظر ، أكوام بشرية مخبولة تتزاحم ، تخرقهم بقلق وشك دافعة هذا وذاك ، تقتنص ملامح كل صبي تراه ، الكل يتسارع ، الكل مشغول بنجر كبير جاء بعد انتظار طويل:

. أبنني...!!

لسانها لا يسكت ، قلبها يتشظى إلى مرايا تعكس تواريخ جريجة تثقل كاهلها ، تعثراً تمشي.. قلقة ، لا تريد غير أبنها (حامد).

\* \* \*

كان يغفو على ذراعها ، متأكدة من ذلك ، رأسه ترك خدرأً لذيذاً يتخثر في ساعدها اليسار ، دائماً يلقي رأسه هناك قرب قلبها ،

مذ عشق الضربات المنتظمة القادمة من قلب أمّه ، كانت هي تواصل كلامها ، وكان هو خاشعاً يصغي لخفق دافئ يتناهى من قلب أمّه ، ضربات رويداً رويداً تغدو درداً طبل يواصل احتفاله بشكل متواصل ومنتظم ، يغذيه بسيل نعاس جارف ، تغرقه في بحر نوم لذيذ.

متأكدة..هي نامت قبله ، دائماً كانت تنام وتتركه فاتحاً فمه ، فاتحاً عيناه ، وحين تفتح عينيهما ، تجده نائماً على ذراعها اليسار ، يشيع في الغرفة ، عزف شخير صاحب ينبعث من منخريه.

\* \* \*

لحظة أفاقت من قيلولتها ، ما الذي يحصل...!! (سؤال تحرك في رأسها) ، خارج الغرفة أصوات تتشابك ، تهز الجدران وأشياء الغرفة ، وجدت نفسها ترتفع من البساط ، لا فرصة للتفكير ، متأكدة أنه ألقى رأسه على ذراعها ، قبل أن يلقي سؤاله الدائم ، تركها تحكي ، هي نامت ، لا بد أنه قد نام أيضاً ، هكذا كان يفعل دائماً.. (أين ومتى غادر) سؤال هرعت البحث عن أجابته...!!

\* \* \*

طفل أسير رغبة كبيرة تسكنه ، تباغته الرغبة كلما يستلقي قرب أمّه:

- ماما متى يرجع بابا...!!



يشعر بوزر ذنبه ، ما أن يلقي سؤاله ، يغضب على نفسه ، يدرك أنه ما زال يواصل إثقال كاهل أمه بعذابات لا يفهمها ، كلما يلقي سؤاله ، خاشعاً يراقب نمو الحزن في عيني أمه ، وهي تحكي أشياء كثيرة ، حكايات هو لا يريد لها طبعاً ، حكايات جميلة لكنها لا تسكت بركان الرغبة في جوفه ، ومع الأيام تعود على حفلات الحزن ، صامتاً يراقب جدول ماء ، يتشكلان قبل أن ينحدران من أعماق عيني أمه ، تنحدر خيوط مزججة ، تكتسح أديم وجنتيها ، تلك هي إستهلالات مناحة قائمة ، توصل إلى قناعة تامة أنها تتعلق بسؤاله ، وأيقن أنه سبب إشعال نيران لا تهدأ في جوف أمه ، عزم أن لا يوجج مواعد مواجهها الخامدة ، توضح ذلك بسبب تأخير سؤاله خلاف عما كان ، غير أنه تخاذل ، وجد ضغط الرغبة ظلام زاحف ، كلما يستلقي واضعاً رأسه على ساعد أمه ، يتمل جسده ، يفقد شعوره ، يتحرر لسانه ، لم يعد يعرف ما الذي ينطق به ، على تلك الوتيرة المنتظمة سارت أيامه.

\* \* \*

(حامد) كلما يلقي سؤاله الكبير ، يريد حقيقة كونية لا يتوجب على أي إنسان حجبها ، رغب أن يعرف كي لا يتسبب دائماً في حرق أعصاب أمه ، لا يمتلك سوى مفتاح واحد ، يكفل فتح باب الرغبة لأعاصير مجنونة تهب ، تأخذ أمه لسرد حكايات خارج نطاق واقعه ، حدودها ليست نائية ، تنهار أمام إلحاح قادم من أعماق

عينيه ، تفقد حواسها ، ينفلت لسانها ، تحكي كثيراً ، حكايات لا توقف حرارة الالهفة المتنامية في عيني (حامد) ، نعاس كبير ضاغط يتوالد ، يبنجها ، ويسحلها إلى تخوم النوم ، عندها يجد (حامد) إرادته لا تصمد كثيراً ، يرتخي جسده ، منجذباً تحت سطوة سلطة خادرة ، يلقي رأسه على ذراع أمّه ، قرب قلبها تحديداً ، متناعساً ينسجم مع إيقاع قلبها المتألم.. ينام.

\* \* \*

(أم حامد) امرأة تتحطم بالتدرج المدمر ، (حامد) طفل ما زال يحلم بوجه أبيه ، (أبو حامد) غاب ذات مساء أو ذات عشاء ، رحل تاركاً محياه في مخيال (أم حامد) ، كان (حامد) طفلاً صغيراً في (كاروك) خشبي ، تناول عشاءه قبل أبيه ، ارتوى من ثدي أمّه ، وجد سقف الغرفة عالماً فسيحاً يحوي مدينة ألعاب جميلة ، راح يرسل يديه ، يريد أن يمك شيئاً بعيداً يراه قريباً ، (أبو حامد) مع عائلته السعيدة عندما بدأ بتناول قسمة تلك الليلة من عشاء بسيط أعدته أم (حامد) ، سمعوا طرقات مخبولة ترج البيت.. قال أبو (حامد):

. هذي ليست طرقات ضيف..!!

عينا أم (حامد) أرادت توضيحاً ، توقفت أيديهم من تناول لقيمات الطعام ، تلاقت عينا أبو (حامد) بعيني أم (حامد) ، متوجهاً نحو الطارق قام أبو (حامد) ، الطرقات لم تتوقف ، فتح أبو

(حامد)الباب ، يد قوية باغتن كتفه ، لم يتماسك الرجل النحيف ، تراجع من قوّة الضربة ، سقط على قفاه ، رجال غرباء اقتحموا البيت ، ركلوه بأقدامهم ، ضربوه بأعقاب بنادقهم ، قاء أبو (حامد) ما كان في فمه من بقايا لقمة غير ممضوغة ، أم (حامد) ما تزال كلّما تجلس ويجلس لصقها (حامد) طارحاً سؤاله الكبير ، تتذكر تلك الليلة كيف ظلّت يقظّة ، كيف تحجر لسانها ، كيف جف حلقها ، كيف سهرت باكية ، كيف رفعت شكواها إلى رب السماوات السبع ، سكتت من شكواها العلنية وحولتها إلى شكوى سرّية بعد يومين على اعتقال أبو (حامد).

قالت لها أم (حسون) جارتها:

. أسكت ياأختي ، سيأخذونك ويفعلون بك ما يفعلون...!!

خافت أم (حامد) من كلام جارتها ، بقت تبث حزنها إلى الليل ، ترجو من رب السماء أن يعينها على غيّاب زوجها ، ويرده قبل أن تفقد صوابها.

ما زالت تعيد مشهد تلك الليلة ، كلما يطلب (حامد) قصة غيّاب والده ، تصمت ، يجف حلقها ، و(حامد) لا يرحمها بنظراته المتكلمة ، تشعر بدموع حاضرة تتراكم قبل أن تسيل على وجنتيها ، (حامد) يريد أن يعرف سبباً لبكائها كلّما ألقى سؤاله...!!

\* \* \*

صارت أم (حامد) داخل سوق (جليلاء) ، ناس تفرح ، ناس

تتقاطع مجنونة ، بنادق بدأت تتراشق ، زغاريد نسوة تتواصل ، الحال  
رفعوا أصوات أجهزتهم الصوتية ، مواكب مركبات بدأت تندفع إلى  
السوق ، تمرق وهي تتبارى ، تحمل ناس تصفق ، ناس تزعق ، ناس  
تتسابق لـ (تفرهد) أملاك الدوائر ، وأم (حامد) هاذية تمشي ، لسانها  
يترنم:

. أبني...!!

وعيناها تخترقان التجمعات المتنامية للبشر ، تبحثان عن  
(حامد)...!!

\* \* \*

قلت مع نفسي ، عندما يكبر (حامد) سأحكي له كل شيء ،  
سأقول له أين أبوك ، لكن يا (حامد) ليس هذا أوانه ، لا..لا..أرجوك  
يا (حامد) لا تعذبني ، دع الحكاية لوقتها ، أنت صغير ، الحكاية فوق  
طاقتك يا ولدي ، يا (حامد) لا تجبرني أن أجرح مشاعرك ، أنت  
صغير يا بني ، دع الحزن لي أنا ، الحزن للنساء ، خلقنا لنحزن وأنتم  
خلقتم لتموتوا في الحروب ، ستكبر يا ولدي وتأخذك الحكومة إلى  
النار ، لا..لا..أستغفر الله ، أرجو أن تنتهي هذه الحرب اللعينة ،  
يا (حامد) أرجو أن لا تكبر ، أبق هكذا صغيراً يا قرّة عيني ، عندما  
تموت الحكومة أكبر براحتك ، سأجلب لك عروس حلوة ، بنت  
أصول ، بنت حسب ونسب ، ولكن يا (حامد) أقول لك بصراحة ،  
هل يعطوننا زوجة لك ، يا (حامد) حتى لو لم يعطوك عروساً ،

سأجلب لك من آخر الدنيا واحدة ، هناك ناس مثلنا ، هناك ناس فقراء سيستقبلوننا ويعطوننا أجمل بناتهم ، لا تهتم يا ولدي ، الله خلق لكل رجل مجموعة نساء ، وجعل لكل امرأة رجل واحد فقط ، لا تسألني لماذا ، عندما تكبر ستعلم ذلك ، هو الله والعلم عنده ، سامحني يا بني أرجوك ، أتركني أبكي ، الله أعطانا الدموع أكثر منكم ، الله عرف أننا ضحايا ناس لا ترحم ، أرجوك يا ولدي ، لا تتعلم البكاء ، أنا تعلمت البكاء من صغري ، جدك أعني أبي ، جاءوا به (شهيداً) بكت أمي كثيراً ، أنا لحظتها كنت صغيرة ، كنت أنظر إلى أمي ، (شالت تراب الدنيا وكومتها على رأسها) ، كبرت ، وعيت القضية فتعلمت البكاء ، أنا ولدت لأبكي يا (حامد) ، لا أريدك أن تتعلم البكاء ، الدنيا ثقيلة علي يا ولدي ، عهداً مني حين تكبر أن أحكي لك كل شيء عن أبيك ، (فدوة أروح لأبيك يمه) ، حكايته يا ولدي تسبب لك حزناً لا أريد رؤية أوشحته علي وجنتيك..!!

[..أم (حامد) تمشي ، تجتهد كي تحافظ على صلابة إرادتها ، كانت تخاف أن يفلت لسانها ويتسرب خبر غيباب زوجها ، (حامد) صغير لا يتمل وقع العذاب ، ظلت تكتم حكاية غيبابه ، راغبة أن لا تراه يذبل ويأكل الدمع وجنتيه ، لكن السد لا بد أن ينهد . مثلما القيد خاتمه الكسر..]

يأم (حامد) ماذا لو عرف (حامد) أين والده ، لا.. لا.. لا أريد أن يعرف ، مازال صغيراً ، سأقول له كل شيء حين يفهم الدنيا ،

هو أول وأخر شيء بقى لي منه!!

[..كلّما رغبت التخلص من وزر الحكاية ، وجدت نفسها في حيرة تنتهي بوجبة بكاء وسويغات نوم ، كانت تكذب عليه كلّما يسأل ، تعود لتستغفر ربها ، تعترف بذنبها ، وتعاهد نفسها على التوبة والاعتراف له..]

حين تكبر يا (حامد) سأقول لك سامحني يا بني..ها (حامد)ماذا تريد أن تقول ، تريد أن تسامحني ، لا..لا.. أنت تمزح يا ولد ، لا..لا يا أبنّي أنا كذّبت عليك!! (حامد)لا تقف حائراً ، لماذا تنظر إلي مستغرباً ، لا أمازحك يا ولد ، أنا كذبت عليك كثيراً ، دعني أشبع من عينيك ، عيناك يا(حامد) تشبهان عينيه ، ياااااااااه ..أبوك كان عنده عينان واسعتان هادئتان ، لا..لا.. يا(حامد) كيف تسامحني ولم تعرف السبب ، (حامد) أنت مثله ، قلبك كبير ، أنا واثقة أنّك ستسامحني على ما كذّبت عليك ، كنت أريد أن تكبر وأقول لك كل شيء ، الآن يجب أن تعرف يا(حامد) أين أخذوه ، ولم أخذوه ، وكيف سقطت لقمة الطعام من فمه ، حرام عليهم يا عالم ، فقط لو تركوه يكمل عشاءه ، فقط لو تركوه يا(حامد) ، توقعت لحظتها ، أنّ أباك يا ولدي سيرجع بعد ساعات ، بعد ليلة ، بعد يوم ، بعد يومين ، بعد أسبوع ، شهر.. سنة ، جلست أمام عتبة الباب ، أنت كنت في (الكاروك) تواصل فرحك ، كان الليل يسد منافذ الراحة ، الهواء صار فاسداً ، الزقاق صار موحشاً ، الناس نامت في أول الليل ، نعم يا(حامد) كنّا نجلس حتى وقت متأخر من الليل ،

رجال الزقاق ، نساء الزقاق ، بنات الزقاق ، فتيان الزقاق ، يا (حامد) أبوك كان يجلس مع رجال الزقاق ، يا (حامد) أنا كنت أجلس مع نساء الزقاق ، لا.. لا.. يا (حامد) أنت لم تكن تجلس مع أطفال الزقاق ، أنت كنت في بطني ، حين هبطت إلى الدنيا ، مات الفرخ ، ماتت الدنيا يا (حامد) ، لم تعد لدينا ليال للجلوس ، ليالينا صارت بيوتاً للكوابيس والخوف ، قالوا لنا ، رجالاً الحكومة قالت لكل الناس:

. أشباح عظمية تزحف في الليل من المقبرة الكبيرة ، تتجول في الأزقة تلتهم كل من يجدهه..!!

\* \* \*

..[تمشي أم (حامد) ، لا تعرف أين تريد ، تمشي ، عيناها تضييعان الدروب ، لا احد يسألها لم هي تركض ، الكل أمامها يركض ، البلدة تركض ، البلاد تركض ، الحياة تركض ، العالم كله بدأ يركض]

آه.. يا (حامد) لو رجعت في تلك الليلة ، لزغردت حتى الصباح ، عاهدت نفسي أن ألم الدنيا على فرحي ، لكن يا(حامد) الدنيا أخرجتنا خارج حدودها ، لا تريدنا ، ماذا تفعل بامرأة أخذت الحكومة زوجها ، ماذا تفعل بطفل بلا أب ، تعال لأقول لك كل الحكاية ، صرت تفهم الأمور ، أطفال الفقراء والمحرومين والمعدومين يكبرون سريعاً ، يفهمون الدنيا بسرعة ، الحزن يصنعهم ، الحزن

مدرسة لتخريج العظماء يا ولدي ، كل عظيم خرج من براكين  
الحزن والفقر ، صرت يا(حامد) تفهم كل شيء ، تعال وأسمع أين  
هو ، يا(حامد) لو سألتني لم خبأت الحكاية عني يا أمي!!انعم يا  
(حامد) يا قرة عيني ، أقول لك بصراحة ، أنا خفت عليك من  
قسوة الزمان ، خفت عليك من فقدان لون الفرح في عينيك ، خفت  
أن تسرق الحزن مني ، يا(حامد) أقول لك سرّاً ، بصراحة..  
بصراحة.. كرهت أن يشاركني حزن غيابه أحد ، حتى لو كنت  
أنت ، كان هو حبي كله ، دنياي كلها ، سامحني يا أبني ، لا.. لا..  
يا(حامد) لن أستحق مسامحتك!!انعم يا أبني ، الكذب آفة كبيرة ،  
أين أنت ، تعال لأحضنك وألصق فمي على كل شبر من جسدي ،  
(سأبوسك) وأطير بك إلى عالم يقبل الفقراء والمظلومين وعائلات  
المعدومين ، تعال لأقول لك ، صرت رجلاً تستطيع أن تمسك  
مشاعرك ، صرت تعي الدنيا وتعلم أين تعيش ، في أي بلد ولدت ،  
يا(حامد) تعال ، أين أنت ، تعال لأقول لك الحقيقة ، تعال لتعرف ،  
يا(حامد) ليلتها كنا على سفرة الطعام ، أنا وأبوك ، أنت كنت يا  
عيني طفلاً يحاول مسك مستقبله ، يداك العزيزتان تريدان جلب  
السعادة لنا ، تمتدان نحو سقف البيت ، هناك كان عرش طائر  
(السنونو) ، كنت تراقب رفرفات أجنحتها ، يا(حامد) منذ أخذوه ،  
هجرتنا طيور (السنونو) ، لم تعد تعود لتبني أعشاشها حتى يومنا  
هذا ، يا(حامد)تعال (السنونوات) عادت تحوم حول البيت ، تريد أن  
تعيش معنا ، تعال يا(حامد) الدنيا انقلبت ، لا أعلم والله يا أبني لم



اختفت (السنونات) من بيتنا من يوم أخذوا عمود بيتي ، لا أعرف - ليش - رجعت من جديد ، يجوز خافت من الحروب ، يمكن وجدت أعشاش جميلة ، في بيوت أجمل من بيتنا ، لكن يا (حامد)آه..تذكرت ، أبوك قال لي:

- السنونو لا يعيش إلا في بيوت الفقراء..!!

ربما يا(حامد)خافت (السنونات) على نفسها من رجال الحكومة ، يمكن ليلتها رأّت كيف انهالوا على أبيك بينادقهم الوسخة ، أنا وأبوك كُنّا نتعشى ، عندما جاءوا وطرقوا الباب مثل الوحوش ، ناس لا تستحي ، يا أبني ليس عيباً ، لماذا تخجل من كلامي ، يااااااااااا أنت تخجل يا ولد من عشاءنا ، يا(حامد) لسنا وحدنا من يتناول ليل نهار (خبز وخبّاز) ، الدنيا مليئة بالفقراء ، ماذا يعملون ، الله رزقهم بـ(الخبّاز) مثلما رزق الأغنياء بالمال ، كل يوم كان يرجع أبوك حاملاً معه باقات طرية يجلبها من أطراف الشوارع ، أطبخ أكلته العزيزة عليه ، أبوك يا(حامد) وضع لقمة عشاء في فمي ، أردت أن أرد له معروفه ، نعم يا أبني ، نحن نحب بعضنا ، أنا أضع لقمة في فمه ، هو يرد لقمتي بلقمة كبيرة - يدحسها - في فمي ، أنا أصبح صغّر اللقمة يا رجل ، هو يستغرق في الضحك ، آه يا (حامد)قبل أن يطرقوا الباب وضعت في فمه لقمة ، آه.. ياااااااااا ما زلت أحتفظ بتلك اللقمة ، قلت أخذها معي حين أموت إلى (الجنّة) ، نعم يا(حامد) هناك أمام الله ورسوله والأنبياء والخلفاء الراشدين والأئمة المعصومين ، أمام الزهراء

(فاطمة) ، أمام الحسن والحسين والحمزة (أبو الحزامين) ، أمام العباس (أبو رأس الحار) ، أمام خلق الله جميعاً ، سأضع بقايا (اللقمة) في فمه ، سأقول لربي ، يا رب سامحني على فعلتي ، سامحني أنا جلبت لقمة طعام من الدنيا الفانية إلى (جنتك) الدائمة ، يا(حامد) الله يسامح كل من تحب زوجها ، الله يحب الفقراء ، يفرح بنا ، نحن نتعذب في الدنيا ، كل عذاب يعطينا بدلاً عنه نعيماً لا يزول يا ولدي ، هذا ليس كلامي ، أنا لا أفهم في أمور الدين والدنيا ، هذا كلام كنت أسمعه من أم (حسون) جارتنا ، كل امرأة لديها (شهيد) لها قصر في الجنة ، يا(حامد) سأقول لله يا ربي ضع عش طائر (سنونو)من أجل أبنني (حامد) في قصرنا ، لا تستغرب ، هو يقول ذلك: (أدعوني أستجب لكم) ، تعال فقط لأقول لك ماذا جرى برأسي في تلك الليلة ، كسرة خبز هي الآن يابسة ، وضعت عليها (خبّاز)حار ، لففت الخبز جيداً وقبرته من فمه ، أنت يا(حامد) كنت في دنياك ، أآآآآآآآ..فقط لو تأخروا قليلاً لأكمل لقمته ، طرقوا الباب بوحشية ، الله ينتقم منهم ، الله يشل أيديهم وأقدامهم ، قال أبوك:

- هذي ليست طرقات بشر...!!

قام وترك يدي مرفوعة ، لحقته ، وضعت اللقمة في فمه ، أبوك يا (حامد) لم يستطع تكملة اللقمة ، فتح الباب ، سقط أبوك ، حاولت أن أسقط عليه ، فقدت عقلي ، أردت أن أصرخ ، مسدس لعين خنق صوتي ، وجدته على رأسي ، دخلوا رجال مثل الدود ،

ضربوا أباك يا(حامد) ، الله يضربهم في الدنيا والآخرة ، أخذوه وتركونا ، أين أنت يا(حامد) ، لا تعذبني ، لم يبق لدي قلب كي أضع حزنك فيه ، قلبي لا يستوعب حزينين يا ولدي ، تعال..تعال.....أنا حاضرة لأقول لك ما جرى لأبيك ، فقط تعال لتعرف لم تكرهنا الناس ، لم نحن غرباء في زقافنا ، تعال.....يا (حامد) ، تعال لأقول لك لم رفضوك في المدرسة ، لم يكرهوك أطفال الجيران ، لا تتركني مخبولة أبحث عنك.

[تتوقف للحظة ، تبدو كمن تذكرت شيئاً.تبدأ المشي من جديد] لكن.. لا.. لا.. يا أم (حامد) لا تكبري الموضوع ، (حامد) ولد عاقل ، لا يذهب بعيداً ، دائماً يلعب وحده ، يلعب وعيناك تراقبان لعبه ، أين يذهب ، البلدة تعرفكم ، زوجة رجل أخذوه ولم يرجعوه ، يعرفونك بائعة البيض في سوق البلدة ، كل يوم تلمين بيض الدجاجات وتذهبن إلى السوق ، تبعين البيض وتتسوقين وتعودين ، آآآه..أقول: حسبي الله على من حرمني من زوجي ، حسبي الله على من حرم أبني من حنان أبيه ، حسبي الله على من حرم زوجي من تكملة لقمة طعامه!!

\* \* \*

أبوك يا(حامد) فقير ، فقره أغراني ، وجدته يستحق العشرة ، هو من شجرة مقطوعة ، وأنا من شجرة معدومة ، رزقنا الله بك ، يا (حامد)لو لم يأخذوه في تلك الليلة ، كنت الآن أكبر أخوتك

وأخواتك ، تعاهدنا أن ننجب جيش فقراء ، أنت أول الجيش يا ولدي ، تعال لتعرف كيف وأين أخذوه ، أنت شبت حليياً ، كنت تنام كلّما تشبع من حليبي ، لكنك يا(حامد) تلك الليلة شربت الحليب ولم تنم ، الفقراء يا(حامد) الله جعل قلوبهم أن تتنبأ بالخرن ، هذا ليس كلامي ، هذا كلامه يا(حامد) ، أنا وأبوك كنّا نتناول عشاءنا ، جاءوا وأخذوه ، تعال لأحكى لك كيف كان أباك يشبعك (بوساً) ، يا عيني على (بوساته) هو (ببوسك) وأنا أصغي لصوت (بوساته) ، يا عيني ما زلت أسمع رنين (بوساته) في أذني ، أبوك كلّما يعود من دوامه ، يرفعك ويدور بك البيت ، أنا أركض وراءكما ، الجيران من حولنا تراقب فرحنا من فوق أسطح بيوتها ، يا(حامد) جيراننا الله أعطاهم الصحة والعافية والمال ، ونحن أعطانا السعادة ، سعادة الفقير غاية لا تدرك ، لا تسألني أرجوك عن معنى هذا الكلام ، أبوك سمعته يقول ذلك لي يوم قلت له الجيران تحسدنا على سعادتنا ، بصراحة يا ولدي كنت أخاف عليك من عيونهم ، كان أباك يركض بك ويدور في حوش البيت وأنا أركض وأضحك وراءكما ، هو (ببوسك) وأنا أضحك من الفرح ، أقول له لا تخلّص (بوساتك) يا رجل أبق لي منه (شوية) لليل ، أبوك كان يا(حامد) فرّاش بقدر الدنيا ، فرّاش في المدرسة ، يعمل الشاي للمعلمين ، كان يقول لي ، المعلمون يفضلون شايي على شاي - نسوانهم . ، ينظف غرف المدرسة ، المعلمون يقولون - نسواننا . لا يعرفن التنظيف مثلك ياأبو (حامد) ، المعلمون يرسلوه إلى السوق ،

يجلب لهم (لقات فلافل) ، يجلب لهم (جكاير) ، أخذوه وحرموا  
المدرسة من خدماته ، ضربوه على رأسه ، سقط وهو ينظر إليهم ،  
أه.. يا(حامد).. بكيت وبكيت ، مسحت دموعي ، وجدت اللقمة  
ساقطة على الأرض ، صحت لحظتها (ياويلي) صحت (بابووووو) ،  
رفعت اللقمة إلى السماء ، قلت ربي أرجعه كي يكمل لقمته ، الله  
سمعني ، الله أراد أن يشهد العالم على حبي له ، هو أدخل  
الطمأنينة إلى روحي ، سمعت صوتاً يقول:

. يا امرأة أحتفظ باللقمة ، سيأتي ويريد منك لقمة الطعام!!  
يا(حامد) أقول لك بصراحة ، خفت من الحكومة أن تعود  
وتبحث عن اللقمة ، والله لا أدري لم فكرت بهذا الموضوع يا  
(حامد) ، وكيف خطرت الفكرة في بالي والله لا أعرف ، كنت  
فاقة صوابي وكل شيء من حولي يمد يديه ليخنقني ، خفت أن  
يتركوه بلا عشاء ، خفت من كل شيء ، ماتت حياتي ياولدي ،  
لكنك أبقيت لي الأمل قائماً ، أنت تشبهه ، أولاد الفقراء يشبهون  
آباءهم ، أولاد الأغنياء لا يشبهون آباءهم ، هذا كلامه يا(حامد) ،  
تعال يا أبنني ، لا تجعلني أفقد رشدي ، فتشت الأزقة كلها ، أين  
ذهبت ، لم لم تجربني بذهابك.

ولكن.

[تتوقف للحظة ، تفكر ، تبدأ بالمشي]

ياأم (حامد) أنت استعجلت الأمور ، لم لم تصبر ، (هاااااااا) ،  
يجوز أن يكون قرب البيت ، يمكن صعد إلى سطح البيت ، يريد أن



أطفال كثر ، الفقراء ينجبون الأبطال والعلماء ، الأغنياء يولدون الجبناء والمخانيث ، نعم يا (حامد)أخذوه وشنقوه ، الله يشنقهم في الدنيا والآخرة ، تعال يا (حامد) سأحكى لك (سوالف) حاكمنا ، حاكمنا حين (يزعل) يلعب بالمسدس ، يضع أهدافاً أمامه ، أهدافه يا ولدي رؤوس ناس يجلبونهم من بيوت الفقراء ، ناس تقول هؤلاء تكلموا على الحاكم ، قالوا كلمات (وسخة) بحق الحاكم ، سمعتهم ناس ووشوا بهم ، الله يلعن كل واشي ، (أمين يا رب العالمين) ، يسوقونهم بالضرب إلى الحاكم ، يوقفوهم أمامه ، ناس تقول الحاكم لا يخطأ حين يضرب بمسدسه ، يضرب الرؤوس ، كل رأس يضربه رصاصة واحدة ، يلقون جثث المعدومين أمام كلاب وأسود وحشية تعيش في قصور حاكمنا ، أبوك يا (حامد)لم يتكلم على الحاكم ، أبوك لا يفهم بالسياسة ، وليس لدينا جهاز (راديو) ليسمع أخبار (طهران) و (لندن)وصوت (أورشليم من القدس) ، لا تسألني يا (حامد) ، أم (حسن) قالت لي زوجها لديه (راديو) صغير يضع كل ليلة في الفراش سماعة صغيرة في أذنه ، يسمع أخبار العدو ، أبوك يا (حامد) كان في مدرسته ، جاءت سيّارات سود فيها عسكر ، ناس ركضت لترى تلك السيارات الغريبة ، قالوا رجل كبير جاء ليزور المدرسة ، رجل كل يوم يظهر في التلفزيون ، دخل وراح يضرب البيبان (جلاليق) ، ناس خافت من نظراته ، الناس قالت عنده عينان لا تستحيان ، ناس قالت عندما خرج الرجل الكبير من المدرسة دخل سيارته وضرب الباب بقوة ، ذهب

(زعلاتاً) على المدرسة ، أنا لم أذهب يا(حامد) ، الناس ركضت وعادت ، رأّت كل شيء ، قالت: المسئول الكبير دخل إلى الصفوف ، وجد الصور (وسخة)عليها (زبان دَبَّان) ، يا (حامد) بعد يومين جاءوا وأخذوه ، معلّم ابن حلال ، جلس قربي وهمس في أذني ، جاء يشتري البيض منّي ، جلس وراح يبكي..قلت له:

. لم تبيك يا أخي...!!

مسح دموعه.. ، قال:

. يا أختي كلّمّا أمشي من هنا وأراك تخنقني العبرة...!!

قلت له:

. أنا لا أعرفك يا أخي...!!

قال:

. أنا أعرفك يا أختي...!!

يا(حامد) ليس لي ولا لأبيك في البلدة أحد ، أنا وأبوك جئنا غرباء ، أبوك تعين (فراش) في المدرسة ، جئنا من القرية وسكننا هنا ، يا(حامد) الشاب الذي جلس أمامي وراح يبكي بحرقة.. قال:

. أكنتم السرّ يا أم (حامد)...!!

قلت له:

. أيّ سرّ يا أخي...!!

قال:

. سرّ غيَّاب زوجك أبو (حامد)...!!

صحت:



. أتعرفه...!!

قال:

. كنت أحبه...!!

قلت له:

. أين أخذوه يا ابن الحلال...!!

قال:

. مدير المدرسة تسبب في شق زوجك...!!

سكت لأفهم قوله..قال:

. أكنتم الموضوع ، إذا عرفوا بي سيشتقونني...!!

قلت:

. أنت ابن حلال يا أخي ، الله يحفظك من مسدس حاكمنا...!!

قال:

. المدير رفع تقريراً حزيناً ضد زوجك...!!

قلت:

. ماذا عمل زوجي...!!

قال:

. زوجك مسح صور حاكمنا ببصاقه...!!

قلت له:

. أنا لا أعرف ماذا تقصد ببصاقه...!!

قال لي:

. ياخاله يعني (بتفاله)...!!

أقسمت له يا (حامد) أن قضيتي سلمتها بيد الله ، منه أطلب  
أن يرد حقِّي وحقَّ أبي ، قلت له:  
. الظالم عمره قصير يا أخي...!!  
قلت:

. (عفارم) عليه ، يسلم فمه ، والد (تفال) الذي (كومه) على  
وجه حاكمنا ، (عفارم) عليك يا أخي ، سرِّك في (بير) يا أخي...!!

\* \* \*

تعال يا(حامد) لأقول لك كيف تقدمن منِّي نساء الزقاق ، كيف  
حزنتي ورحن يلثمن وجنتي ، صمت أنا ، بالي مشغول بك يا  
ولدي ، تعال لتعرف نساء الجيران قدمن اعتذاراتهن ، قدمن تعازيهن  
لنا ، صاحت أم (جودي) بوجهي:

. أين يروح (حامد) يجوز خرج ليفرح مع أطفالنا...!!  
يا(حامد) أم (حسون)هللت بصوت عالي ، أم (نزار) أخرجت  
من تحت عباءتها كيس (جكليت) و- شممت - الجكليت على  
رأسي ، أم (كريم) قالت: بنتي (مريم) لأبنيك (حامد) ، تعال يا  
(حامد) أخيراً أعطونا عروس ، بصراحة يا ولدي من يوم أخذوا  
والدك ، لم تسلم علي امرأة من الجيران ، ماذا أقول ، لساني توقف ،  
قلبي خشع ، سامحني ، الفقراء قلوبهم كبيرة تتحمل مصائب  
الدنيا ، قلوبنا يا ولدي لا تغيرها الظروف ، تبقى مسامحة ، أنا  
وقفت حائرة أنظر إليهن ، بكين لي ، سامحتهن يا ولدي ، الدنيا ما

- تسوى - يا (حامد) - عيب الواحد يزعل - على جاره ، الله مسامح  
كريم ، الفقراء أحباب الله ، الدنيا فانية يا (حامد) تعال ، أين أنت ،  
لم لم تجربني ، بدأت أفقد وعيي ، بدأت أفقد صبري ، قدماي ليس  
فيهما - حيل - ، فتشت السوق وعدت إلى البيت ، ها أنا أرجع  
إلى السوق من جديد ، أين أنت يا (حامد) تعال لتعرف أن الناس  
رجعت تحبنا ، سبحان الله ، سبحان مغير الأحوال ، البارحة كانوا  
يكرهونا ، اليوم جاءوا يعتذرون منّا ، تعال يا بني ، أنهم سيقبلونك  
في المدرسة ، غداً سأشتري لك - جنطة حلوة - سيعطونك كتب  
وأقلام ودفاتر ، أولاد الجيران سيلعبون معك يا ولدي ، الدنيا  
تغيرت ، الناس خرجت من جلودها ، تعال..يجوز أبوك سيعود من  
غيابه ، من قال أنهم شنقوه ، ربما كذبوا علينا ، أين وضعت  
يا(حامد)..!!

\* \* \*

- ها..خالة..!!

جوقة صبيان التفوا حولها:

- أبني..!!

أشار أحدهم بسبابته ، وجدت شيئاً يسحل عينيها ، نقاط سود  
تتحرك ، نقاط صغيرة تمشي ببطء.

- متى رأيتموه..!!

- عندما بدأنا نلعب..!!

الشمس تريد أن تغيب ، تصبغ الأفق بجمرة شاحبة ، نقاط

صغيرة تدب مثل النمال ، أم (حامد) وجدت نفسها مخبولة ،  
حبل متين يشد وثاقها ، يسحلها بعنف:

. خالة.. خالة.. عباتك..!!

طفل صغير يركض وراءها ساحلاً عباتها..يصرخ:

. خالة..خالة..عباتك..!!

النقاط السود بدأت تكبر ، رجال ونساء يركضون صوب  
الوادي ، نحو المقبرة القديمة ، تلك المقبرة قبل سنوات أشاع رجال  
الحكومة أن أشباحاً عظمية كل ليلة تنهض منها ، هياكل عظمية  
تتجول في البلدة ، تلتهم من يجده ، من يجدره ليلاً في الزقاق  
يأخذوه ليحتفلوا بلحمه ، خافت الناس من تلك الأشباح الغريبة ،  
ومن يومها لم يعد أحد يسهر ليلاً في زقاقه..!!

\* \* \*

عرفت أم(حامد) أنها ، لمحتته يركض مع الراكضين ، رأته في  
الطرف البعيد ، في الأفق الشاحب ، نقاط مثل الضوء تتحرك ،  
تتقدم مثل البرق ، بدأت تكبر ، صارت هياكل عظمية قادمة نحو  
الراكضين ، بدأ الاشتباك والعناق ، أرهط هياكل عظمية تحتضن  
مجاميع الناس ، عاد إلى بالها كلام رجال الحكومة ، بدأت تقرر أن  
تلك الأشباح المزعومة حقيقة ، لم يكذبوا رجال الحكومة على  
الناس ، ها هي الأشباح تخرج من المقبرة القديمة في وقت الفرح ،  
تخرج في النهار هذه المرة.

تتعثر أم (حامد) ، تريد أن تمشي ، الرمال تتحرك تحت قدميها ،  
تشل قدميها ، تسقط أم (حامد) على وجهها ، تمد يديها ، تتشبث  
بقبضات رمال ، تقبض قبضة سرعان ما تنسل من بين أصابعها ،  
تقبض قبضة أخرى ، تريد أن تتقدم ، تريد أن تزحف - أبني..أبني -  
(حامد)واضحاً يركض هناك مع الراكضين ، عرفته..لا أحد غيره  
يمتلك هذا الركض الفقير ، ب (دشداشته)المقلمة ، يركض ، يسقط  
وينهض ، وفي الأفق البعيد ، لحت هيكلاً عظيماً نحيفاً يركض نحو  
(حامد) ، عرفته..أبو (حامد) ، يحمل بيده شيئاً ، عرفته.. (باقة  
خبّاز)..كانت يانعة تلمع في الوميض الأخير للشمس!!

\* \* \*



## الليلة سيختبر حينا

مدخل لا بد منه..!!

في أول رسالة تعارف كتبت له بخط خجول:

- أمنيتي الخالدة ، أن أكون لك ، أو..أموت معك..!!

\* \* \*

صمت طويلاً ، كان غارقاً في أشياء قادمة من أعماق الكلمات ،  
مثل أسماك صغيرة تجتهد ضد تيار جارف ، هاربة من حيطان  
عملاقة ، عالم غامض في الماء يتشكل ، هناك على جرف النهر  
وقف كثيراً ، هارباً من ضوء غامض ومنعش سكنه ، جاء يبحث  
عن نفسه ، أكتشف رمال هائجة ، أكتشف غابات تمشي ، طوى  
الورقة ، عصرها من غير شعور ، لثمها بثغر يرتجف ، وحين أفاق من  
نشوة الحلم ، وجد الورقة مركباً شراعياً يتراقص في النهر ، لم يكن  
يعرف السباحة ، فظلّ يمشي على الجرف وراء مركب الحلم..!!

\* \* \*

لقطة:

[ظلام كثيف ، تحترقه أشعة النجوم ، غابة كثيفة لأحراش  
وقصب وبردي ، ضجيج ونقيق ضفادع وحشرات ليلية ، شبهان  
يمشيان ، يدخلان منطقة الوضوح ، فتى وفتاة ، يبدو عليهما الخوف  
والتوجس ، يتلفتان إلى الورااء..إلى اليسار..إلى اليمين ، يتوقفان  
برهة ، قبل أن يواصلان السير ببطء...!!!]

\* \* \*

حوار:

- بدأت أرتجف...!!!

- أمتار قليلة يا عزيزتي ونجتاز الحاجز ، تماسكي قليلاً يا  
حبيبتى...!!!

- عليهم اللعنة ، لم سدوا المسالك هذه الليلة ، يا لحظنا  
الخائب...!!!

- يبدو أنهم شموّوا رائحة حبنا...!!!

- يا رب أتم رحلتنا بسلام...!!!

- ليس بيننا سوى أمتار يا عزيزتي ، تماسكي ، ذلك هو معبر  
حلمننا...!!!

\* \* \*

لقطة:

[مركبات حريرية متأهبة ، متراصة بشكل نسق على طول الشارع



الرئيس المحاذي للمستنقع ، تشرخ الصمت رشقات رصاص باتجاه  
المستنقع...!!..

\* \* \*

لقطة:

[هذيان بشري ، يرتفع من بين الأحراش ، أنين امرأة ، فتاة ،  
شيء من هذا القبيل ، النجوم تشع وتذوي ، عينان من داخل  
الظلام تحاولان الكشف عن ملامح الأشياء ، قامات طويلة ، هي  
قامات القصب والبردي والأحراش المتشابكة ، تتحرك ، يميناً..يساراً ،  
برد يواصل حفر الأعماق ، بطبيعة الحال ليس برد الطقس ، فالوقت  
هو ليلة تموزية خانقة ، البرد يضرب حيث موطن الخدر ، يمشي عبر  
عروق بدأت تتكاسل ، هذيان..حشرات..أنين...!!]

\* \* \*

صوت:

(آآه..أغثني ، آآه..تعال ، أين أنت ، لا تتركني ، تعال وخذني ،  
ما هذا الظلام ، ما هذا البرد ، لم تتحرك الأشياء ، لم تدور الأرض ،  
آآه..لم تمطر السماء ثلجاً ، أين أنت يا حبيبي ، خذني معك ،  
ألست أنا لك ، لم تتركني ، تعال ، لا أطيق هذا البرد ، عيناى  
بدأت لا تريان ، أين اختفيت يا روحي ، تعال.. تعال.....!!..)

\* \* \*

لقطة:

[تمد الفتاة يديها ، لهاثها يتواصل ، تريد الوصول إلى جسد تراه يتضح شيئاً فشيئاً ، جسد خالد ، لا تعلم الفتاة أنه ميت ، مات وتركها تحتضر ، الموت تسلل سريعاً إليه ، رغم أنّ الموت جاء مثل السهم وخرق الجسدين في طرفة عين ، الفتاة مرتمية على عشب ندي ، يحاذي المستنقع ، صممت صفادعه عن النقيق والحشرات الليلية عن الطنين ، ما أن شرخ المكان صوت أطلاقات ، لا بد من حيوانات مثل الثعالب خمدت أنفاسها خوفاً ، فالمستنقع كبير يشرخ بلدة (جلبلاء) إلى نصفين ، في المستنقع تحدث معارك بين مجاميع كلاب كثيرة ، يتواصل صوت النباح حتى الفجر ، الفتاة تموت قليلاً قبل أن تنهض لتنهذي...!!]

\* \* \*

صوت:

(لم تأخرت كثيراً ، آآه..يا موت تعال ، لا تأخذه وتركني ، خذني معه ، لم أخذته وتركتني ، لم يا حبيبي تأخرت ، آآه..لا أحتمل هذا الألم ، كيف تركني وتذهب ، لم أنت تسكت ، لم تنظر بشكل مخيف نحو السماء ، تعال وخذني ، أما تتذكر ، أرجوك لا تقل نسيت ، كنت أقول لك ، لا أطيق لحظة واحدة على فراقك ، ألم تعطيني صورتك ، ألم تقل (ضعيها أمامك ، ضعيتها تحت وسادتك) تعال ، أي شيطان جاء وقطع حلمنا ، ألم تقل (الحب خبز الحياة) ، أنت قلت هذا الكلام ، لا..لا..أنا لم أقله ، أنت همست في أذني هذا

الكلام ، آآه..ألم أكن حلمك ، أنا قلت لك أنت حلمي ، أنت  
أملتي ، آآه.. من أين جاءوا ، لعنهم الله ، هل الحب جريمة سياسية ،  
حاربوا كل شيء ، حتى حيناً لم يسلم منهم ، آآه..لم تأخرت ، كنت  
غزالة ترتع في براري أشواقك ، ياآآه..كلماتك الآن تنهض ، تزحف  
من أعماقي ، ياآآه.. أراها مناشير أضواء ساطعة ، يا لجمال الدنيا ،  
تعالال ، لننهل من هذا الفرح ، آآه..كنت تهمس في أذني ليل  
القبلات (أنت غزالتني) ، آآه.. تعالال ، اشتقت لقبلاتك يا حبيبي ،  
تعالال ، أحرث هذا الألم من جسدي بلسانك الحار ، تعالال ، أنا..أنا..  
كنت أصبح غزالتك ، أنت تضع أناملك على فمي ، تكتم صرختي ،  
أنا أريد أن أسمع العالم فرحتي ، أريد أن أتحدى الجيوش الزاحفة  
لتدمير (بلادتي) ، آآه..أين هي أناملك ، تعالال ، لا تتركني أموت  
وحدي ، دعني أموت في حضنك يا روحي ، آآه..كنت ترفع أناملك  
من فمي ، لا.. لا.. أنا لم أعاهدك على السكوت ، فقط كنت أريد أن  
أتنفس قليلاً ، أملئ رثتي بالهواء ، ياآآه..كنت تقول: (علينا أن نعب  
كمية مضاعفة من الهواء) كنت أقول:لم ياروحي ، هل تغيرت  
قلوبنا!!! كنت تقول: (هوانا أصبح فاسداً مذ داس أرض بلادنا أحنية  
العدو) ، آآه.. تعالال ، هذا الهواء أصبح كما قلت فاسداً ، كل شيء  
من حولي يفقد روحه ، آآه..كنت أرغب أن أصرخ من جديد ، دائماً  
كنت أرغب أن أملئ الفضاء بصرختي ، كنت أريد أن أهتف يا  
كلاب العالم لن تسكتوا صهيل حيناً ، دائماً كنت تخمد براكين  
فرحي بأشواط قبلات ، راضية كنت ، آآه..تعالال ، أين أنت يا حبيبي ،

كنت أقف وأرقص ، كنت تضحك ، تضع يدك على فمك وتضحك ، كنت أحاول أن أسحب يدك من فمك ، كنت أريد أن يسمع العالم ضحكك ، آآه..كنت أنهض من بين أحضانك وأهرب إلى الليل ، كنت تهرب خلفي ، كنت تخاف أن تكتشفنا العيون ، تخاف من عيون الطائرات الحربية ، كنت تقول (طائراتهم ترى النمل في الليل) كنت تقول (أخشى أن يستهدفنا طيار وينتقم منّا) كنت أقول: لا أخاف طياراتهم ، هم جاءوا ليسرقوا بلادنا!!! كنت تقول: (ياعزيزتي..الحب أقدس ممتلكات بلادنا ، جاءوا ليسرقوا الحب منّا ، وحين نفقد الحب لا قيمة للوطن ، تلك هي فلسفتنا في العيش)...!!كنت أقول:وماذا يعملون بجننا ، أنه لا يليق بهم...!! كنت تقول: (يريدون موت حضارتنا)...!! أبقى طويلاً كي أفهم كلامك ، كنت تفهمني كل شيء ، تفهمني السياسة ، كنت تقول: (السياسة عدو الحب)...!! آآه..كنت أتعب ، وأقول لك: هيا نواصل حبنا على عنادهم...!!كنت أركض داخل فناء البيت ، أنت تركض خلفي ، تريدني أن أتوقف ، تريدني أن تسحبني لمزرعة عواطفك ، ياآه.. كم كانت فواكه مزرعتك مغرية ، آآه.. ضاع كل شيء ، ضاع حلمنا ، ماذا فعلنا ، أردنا بيتاً صغيراً يؤوينا ، أردنا أن نبني عشاً على شجرة الحب ، آآه..أين أنت ، لم اختفيت مرة أخرى ، لم الظلام يعود ، لم البرد يأتي ، لم النجوم تنفلق ، تعالوا...!!!

\* \* \*

لقطة:

[تحاول الفتاة الوصول إليه ، هو يتوحد ببهاء الصمت ، ناحتاً  
عينين مشعتين نحو الفضاء ، تشعر باستحالة الحركة ، يداها تحاولان  
اختصار المسافة ، هي تشعر بأنها تواصل الزحف ، تجهل أنها  
محاولات ذاتية ، جسدها نابت على العشب الداكن ، الضوء  
كامل ، يأتي من النجوم المتألثة ، كل شيء من الممكن رؤيته  
بوضوح ، جسده الغارق في موته ، جسدها المرتجف ، الأحرش ،  
نقيق الضفادع بدأت تعود للمستنقع ، رأسها منحوت في جهة  
الجسد الخالد ، عيناها جامدتان ، أنين يتواصل ، حشرات ينتشر ،  
نقيق ، طنين...!!]

\* \* \*

مشهد:

[الفتاة تطل رأسها من باب البيت ، الزقاق يخلد لصمت متخثر ،  
نباح كلاب من بعيد تأتي ، تعود إلى الداخل ، مرتبكة ، عيناها  
تجولان في كل ناحية ، نفسها عميق ، شهيقها مفضوح ، تصعد  
درجات السلم الخشبي ، تلقي نظرة من وراء السياج الطيني لسطح  
البيت ، الصمت ثوب العالم ، تستقر نظراتها ، هناك حيث شمس  
الحياة كل صباح تظهر ، من هناك يأتي فارس الأحلام كل ليلة ،  
مثل مركب شراعي يعود من رحلة صيد موفقة..]

\* \* \*

صوت:

(أين أنت ، لا تدعني اکتوي بنار الحيرة ، متى تجيء ، تعال لنذبح طائر الخوف على حجر اليقين ، الليلة نقول الحقيقة ، لن أراجع عن قراري ، أرجو أن تكون شجاعاً مثلما عهدتک ، لم کل هذا التأخير ، لا داعي للتفكير ، أعلننا موعد حياتنا ، تعال ، لا أطيق نيران الانتظار ، لم تأخرت يا روعي ، عليك أن تحترق الحواجز ، عليك أن تحارب من أجلي ، تعال ، هناك نزرع مسراتنا في حديقة الحب ، لا تخشى أقوال الناس ، ليقولوا ما يرغبون ، حبنا صخرة يا روعي ، كل شيء سيوضح ، ستصفق لنا الناس ، سيقولون في هذا الزمن القدر ، زمن الحروب والمجاعة ، زمن التكفير والتهجير ، يوجد شبان شجعان ، تعال ، لا تدعني أنتظر ، لا أطيق الوحدة ، الليل يلتهم ساعات الحياة ، لم کل هذا التأخير ، لن نهزم مهما كانت العوائق ، أخاف أن أنهار من هذه اللهفة ، تعال ، ليس كل ما يقال لصالح الحياة ، ألم تقل: (الحياة وقودها المغامرة)..!! تعال ، لنكن (رومي و جوليت) هذا الزمن ، يااه ، ما زلت أحتفظ بالقصة كاملة كما حكيتها لي ، لنا عزيمة ولنا إصرار ، الليلة.يا روعي ، الليلة سنبرهن أننا نستحق الحياة ، الليلة سيختبر حبنا ، لم تأخرت ، لم أعهد فيك هذا التأخير من قبل ، هل هناك مانع ، تعال ، علينا أن نقاتل من أجل حبنا ، أين أنت ، - أوووووف - ربي ، لم کل هذا الشقاء ، - أوووووووف..!!

\* \* \*

مشهد:

[يظهر الفتى من بين الظلام ، تتنفس الفتاة براحة تامة ، تغمض  
عينها وتسحب الهواء ، تزفر شهيقها بأنين ، يتقدم الفتى نحوها ،  
يتلفت وراءه ، تهرع الفتاة إليه ، يفتح ذراعيه ليحتضنها ، تجهش  
الفتاة ، يحاول تهدئتها ، يتواصل صوت رنات يده على ظهرها ،  
تسحب الفتاة نفسها ، تنهال على وجنتيه ، صوت قبلات يتردد في  
الظلام...!!!]

\* \* \*

حوار:

. لم تأخرت...!!!

. الأزقة ملغومة بالعسكر...!!!

. وكيف أتيت...!!!

. أحياناً كنت أزحف ، كلما تتاح لي فرصة مناسبة...!!!

\* \* \*

مشهد:

[في غرفة قليلة الإنارة ، يجلسان معاً ، فوق رأسيهما لوحة  
كلمات.

تقول الكلمات:

((لا أريد شيئاً ، /لا أخاف شيئاً ، /أنا حر...!!!/كازنتراكي /

يبدو التعب عليهما ، الفتاة شعرها يتناثر على وجهها وكتفيها ،

في عينيها بقايا دموع ، الفتى مسكون بالصمت ، مثل صمت البحار  
قبل هبوب الأعاصير ، مثل صمت جبهات القتال قبل الهجوم...!!

\* \* \*

حوار:

- كيف نمر والبلدة محتلة...!!
- دعيني أحمد نيراني أولاً...!!
- أنت مختلف هذه الليلة...!!
- لم أجد مسلكاً من غير أسلحة متأهبة للحرب...!!
- عليهم اللعنة ، حتى الليل احتلوه...!!
- لم أعد أحتمل البقاء هنا...!!
- علينا أن نخرج...!!
- دعيني أتخلص من القلق أولاً...!!
- لا عليك ، القلق شيطان البغضاء يحاول قتل حبنا...!!
- يجب أن نغادر ، أنهم يريدون تفريقنا...!!
- سأرافقك أين تريد ، المهم أن ينتصر حبنا...!!

\* \* \*

صوت:

(آآه..كلماتك ما تزال ترن في صدغي ، ما زلت أحتفظ بحرارة  
عناقك ، تعالال ، لم يا روحي فعلت هذا ، آآه.. حملتني ورحت  
تدور بي حوش البيت ، أنت لم تفعلها من قبل ، آآه.. كنت





أحتفظ بكل جملة قلتها لي ، ياااه.. ألم تقل: (أحبك حتى آخر  
لمسة ضوء في عيني)...!! لم أستطع مسك مشاعري ، أجهشت  
بنحيب أنت أوقفت بحر دموعه ، قلت: (لم تبكين وقت الفرح)...!!  
لا..لا..يا روحي ، كلما كنت معك ، أشعر بحجم السدود أمامنا ،  
آآه..عاد الظلام ، عاد البرد اللعين ، بدأت النجوم تنفلق من  
جديد...!!!!!!

\* \* \*

مشهد:

[الفتى والبنث يجلسان تحت لوحة كلمات على الجدار.

تقول الكلمات:

/أعرف أن هذا القلب لم يخلق أبداً لحبٍ طويل ، /غير أن  
شيئاً يتوقد فيه ، /غريباً جداً ، /قلقاً جداً ، /لا يعرف التدجين ، /.  
(ماثيو آرنولد)..]

\* \* \*

حوار:

. حاولت أن أقنعهم..!!

. ماذا يريدون..!!

. قالوا هو (كوردي) ونحن عرب..!!

. أليس الدين يجمعنا..!!

. الصخور لا تحطمها الكلمات..!!

. علينا أن نظرق عليها بمطرقة الحب..!!

. هذا خيارنا الوحيد يا حبيبي..!!

\* \* \*

صوت:

(أرجوك.. أنهض ، ليس هذا وقت النوم ، لم لا تجيب ، لم أعهد  
فيك هذا الصمت ، هيا قم وخذني ، أحملني لرحل ، لم تأخرت ،  
آآه.. نهداي تؤلماني ، أنت السبب ، نعم أنت ، ألم تعصرهما ،  
آآه..كدت تنهش وجنتي بلسانك ، يااه..أشعر بحرارة لسانك ، فرحت  
حين رأيتك ، أعذرني ، بكيت من الفرح ، قلت:جاء حبيبي  
ليخطفني.. قلت: جاء حبيبي ليخرجني من هذا العالم القاسي.. قلت  
لنفسي يا بنت دعيه يفعل ما يشاء ، هو جائع ، هو عطشان..!!آآه.. هيا  
قم ونرحل ، الفجر في الطريق ، سيكتشفون أمرنا ، قلت لك:لا تجهز  
علي دفعة واحدة ، دع بعض فواكهي لرحلتنا ، هناك سأفرش فواكه  
مزرعتي أمامك ، هناك يا روعي يملو الحب..!! هيا.. لا تصمت  
كثيراً..آآه..آآه.. ما هذا البرد اللعين ، لم تنطفئ النجوم ، السنا في  
الليل ، لم تحتفي ، أين اختفيت ، آآه..آآه..آآه..!!)

\* \* \*

مشهد:

[تتواصل المداعبات ، تتواصل القبلات ، أشياء وامضة تتساقط ،  
تمتد الأيدي لتضعها في سلة الحب ، ينهض الفتى ، تنهض معه ،

يمسك يدها ويقودها إلى الجدار المقابل ، يقفان تحت لوحة كلمات:

تقول الكلمات:

..مرة واحدة ، مرة واحدة فقط لا غير ، /رفعت عينها ، /وفجأة  
أحمرت خجلاً على نحو عذب ، /غريب ، /لتجد أنهما التقتا  
بعيني.. /.. (تيسون)..]

\* \* \*

حوار:

- أعجبتني كلماتها فاقتنيتها من أجلك...!!  
- بدأت تغوصين إلى أعماق الكلمات...!!  
- من تحب شاعراً عليها أن تفتح حواسها للرياح العاصفة...!!  
- ليتنا نكمل هذا المشوار...!!  
- الطريق إلى سعادتنا تبدأ من هذه الليلة...!!  
- آه.. أرجو أن تتزودي بالشجاعة ، فالقرار الذي اتخذناه قرار  
حياة...!!  
- تدارست الأمر من كل الاحتمالات ، وجدت الطريق إلى  
حلmi تبدأ من مغامرة...!!  
- كنت أتمنى أن نحصل على فرصة أمل ، من الممكن أن نجد  
بوادر الرضا...!!  
- لم تنفع كل الجهود ، القرار انتهى ، أنت (كوردي) ، لا أحد  
يقتنع بكم مهما أبديتم من معجزات...!!  
- أأمل أن أثبت للعالم صدق نواياي...!!



لقطة:

[ المركبات الحربية ، تواصل شرخ الظلام بمصاييحها ، البلدة  
متخثرة تحت ظلام دامس ، المستنقع مغتصب من قبل ضجيج  
الضفادع ، طائر (الطيטوى) يشرخ الفضاء بصياحه ، أنين خافت  
يتواصل ، حشرات متقطعة ، أصوات كلاب بدأت تنبح...!!

\* \* \*

مشهد:

[الفتى يحدق في سقف الغرفة ، الفتاة تنظر إليه ، على ثغرها  
ابتسامة لا تريد أن تنطفئ ، تنقل الفتاة نظرها إلى حيث ينظر ،  
يشعر الفتى بها ، ينحت عينيه فيها ، تتأوه الفتاة ، يمد يديه ، يسحبها  
من يديها ، ترمي الفتاة برغبة في حضنه...!!

\* \* \*

حوار:

- لم تنظر إلى السقف...!!  
- لا أعرف...!!  
- لا بد أنك تبحث عن شيء...!!  
- هذا السقف يخزن أسرارنا...!!  
- من يدري ربما له عيون ، مثلما الحيطان لها آذان...!!

\* \* \*

صوت:

(آآه.. ما زلت أتذكر يوم رأيتك ، كنت مع صاحبتى ، كان الوقت ظهراً ، كنت تقف على الشارع ، رأيتك من بعيد ، قلت لصاحبتى ، ولد غريب واقف في المكان!! قالت صاحبتى: (ربما يريد مركبة)..!! في ذلك المكان ، كان يقف ولدٌ له صلة قرابة بصاحبتى ، كان يأتي ويقف ، كل يوم نذهب إلى المدرسة ، نجده تحت مظلة دكان متروك ، قالت صاحبتى: (يأتي من أجلي)..!! في ذلك اليوم ، وجدتك يا حبيبي تقف ، قلت لها: من اليوم المكان لي..!! قالت لي: (هل يقف من أجلك)..!! لم أجبها ، كنت غريباً ، لم أرك من قبل ، آآه..كم كان يوماً جميلاً ، مررنا بك ، كنت تنظر إلى الأرض ، رمتك ، رفعت رأسك ، التقتا عيناى بعينيك ، شعرت بشيء خرق كياني ، في البيت يا حبيبي ، وقفت أمام المرأة ، وقفت طويلاً ، أريد أن أعرف مدى التغير الحاصل في جسدي ، لم أتم الليل ، في اليوم التالي وجدتك تقف ، قالت صاحبتى: (ربما يقف من أجل واحدة)..!! قلبي رجف من كلماتها ، تمنيت أن أكون أنا تلك الواحدة التي كنت تقف من أجلها..!! آآه..يا لسرعة الحب ، قل لي لم كنت تقف ، أنا لم أطرح هذا السؤال من قبل ، هل كنت تريد واحدة ، ألم تقل لي: (أنت صيِّدة ماهرة)..!! نعم اصطدتك وربطت مصيري بك ، أتذكر أول ورقة بعثتها لك ، قالت لي تلك الطفلة التي حملت مستقبلي بكفين من نور: (لم يستلم الورقة مني ، رميتها أمامه وركضت راجعة)..!! لم لم





صوت:

(آآآه..أين اختفيت ، لم تذهب وتعود ، هيا قم ، الفجر يقترب ، كان يجب أن نكون الآن قريين من حلمنا ، لم تأخرت ، قلت لك ، لنذهب ، لا أعرف لم أرجأت رحيلنا ، لابد هاجس الموت سكنك ، ماذا تقول الناس عنا ، أرجوك خذني معك ، لا تمت وتتركني ، لا أريد البقاء في هذه الحياة ، خذني معك ، هناك سيعطينا الله بيتاً يكفيننا ، ألسنا شهداء قضية ، ألم تقل: (الحب قضية كبرى في مجتمعنا)..!!حبنا أصبح من الآن القضية الكبرى في البلدة ، ربما في البلاد ، ربما في العالم ، لابد أن العالم سينشغل بنا ، الأعداء حولونا إلى (روميو و جوليت) ، لعنهم الله ، لم قتلوووووك يا روعي ، آآآه..أتذكر يوم العرس ، لم يا حبيبي كنت تخاف من نظراتي ، كنت أنحت عيني فيك ، العالم كله مشغول بالفرح ، وحدي كنت أصنع فرحي ، قلت: لأكتب له ورقة ، سأعلن حبي له..!!أتدري لم كتبت الورقة ، شعرت بصديقتي تريد أن تكسبك ، خفت منها ، هي أجمل مني ، وهي (كوردية)منكم ، قتل ابن عمها في الحرب ، ذهب وعادوا به ملفوفاً بالعلم ، لم تبك ، وجدتها صامتة ، ربما أعدت بديلاً لعواطفها ، خفت أن تكون أنت ، نعم يا حبيبي ، أنت ، كانت تريد أن تصطادك ، وجدتها تنظر إليك بعيون غريبة ، شممت رائحة غرامها ، قلت:لأكتب لك ورقة..!!آآآه.. فزت بك ، وجدتها تحسدني ، قالت لي: (وجدت من يظللك بجاناه)..!! قلت لها: أولاد الحلال في بلادنا لا ينتهون..!! قالت: (من أين أتى بواحد

يشبهه)!!! كانت تقصد يشبهك ، آآه..تعالال ، الفجر جالاء ، أنت  
ما تزال غارقاً في النظر إلى السماء ، آآه..تعال ، آآآآآه..ما هذا البرد  
في تموز ، لماذا تختفي النجوم والسماء ليس فيها  
غيوو!!!)

\* \* \*

مشهد:

[ داخل الغرفة ، الفتى والفتاة ، يتعانقان ، صوت طائر  
(الطيوطى) يشرخ الصمت ، يصغيان ، ينهض الفتى ، الفتاة تبقى  
جالسة ، تراقبه ، الفتى يقترب من الباب ، ينظر إلى السماء ، الفتاة  
تنهض وتتقدم منه ، تقف وراءه ، تضع يدها على كتفه ، تطرح  
رأسها على كتفه...!!!]

\* \* \*

حوار:

- لو وافقوا على طلبك ، لكننا الآن في عالم آخر...!!  
- ليس أمامنا سوى ترك البلاد ، هناك سنبنى حياتنا...!!  
- لم تنفع توسلاتي ولا دموعي ، أبي ظل صامتاً ، أخوتي قالوا-  
سنعطيك لكلب أجرب ولا نزوجك من - كوردي - ...!!  
- صراحة أقول ، أنهم ليسوا بشراً...!!  
- أقل لك صخور...!!  
- أحياناً الصخور تستسلم لقوة المطارق...!!

. دعنا لا نفتح الجراح ، علينا أن نفكر برحلتنا...!!  
. هناك ، خارج البلاد ، لدي أقارب ، أنهم ينتظروننا...!!  
. هيات ما عندي من قطع ذهب ، وتركت لهم ورقة كتبت فيها  
رغبتي...!!  
. حتماً..سيندمون...!!  
. هذا ما أريده...!!

\* \* \*

صوت:

(لو لم تتأخر يا روحي ، لكننا الآن قرب الحدود ، ربما اجتزناه ،  
آآه ، ضاع حبنا ، ضاعت حياتنا ، لم الكلاب سدّت الشوارع هذه  
الليلة ، لم بالضبط اختاروا هذه الليلة ، لم دخلوا بلدتنا العزيزة هذه  
الليلة ، ألم تقل: (ربما شمّوا رائحة تهريب حبنا)...!! قلت لك: هل  
هم كلاب بوليسية...!! قلت لي: (لعنهم الله ، يعرفون كل شيء  
عنا)...!! آآه... تعال ، لم تأخرت ، كان يجب أن نرحل قبل ليلتين ،  
لم أرجأت الرحيل ، أنت أخرت الحلم ، أنت سبب فقدان حياتنا ،  
كانوا يقولون: (الكوردي قلبه بارد)...!! كانوا يقولون: (الكوردي يفكر  
بعيداً)...!! لم لم تستعجل لإنهاء قضيتنا ، هل ترددت قبل أن  
نرحل ، شممت فيك رائحة الخوف ، لكن لا..لا.. ربما كنت على  
حق ، العدو في كل مكان ، لم أطلب أرجاء رحلتنا ، لم أقف ضد  
رحيلنا الليلة ، لم لم أفكر بذلك ، آآه.. أعذرنى يا حبيبي ، أنت  
تعرف حجم النار في أحشائي ، لم يبق سوى يومين كي يأتي ذلك

الرجل المأفون ويأخذني ، ماذا كنت أعمل ، آآه..فليكن ما يكن ،  
فليأت الموت ، أنا أردت حياتي معك ، لا..لا..لن أتردد ، ربطت  
مصيري بك ، رحلت يا روحي بدري ، خذني معك ،  
تعااa

\* \* \*

مشهد:

[الفتاة تنظر إلى الساعة المعلقة على الجدار ، الساعة تواصل بث  
الحياة في الغرفة ، تك..تاك ، الفتى صامت ، الليل في الخارج هادئ ،  
من بعيد كلاب تعوي ، ديك يباغت الصمت بصياح غير عادي ،  
الفتاة تطرح نظراتها جانباً ، تلقي برأسها في حضن الفتى..]

\* \* \*

حوار:

- . أما حان الوقت...!!
- . أشعر بشيء من الظمأ...!!
- . دع عواطفك إلى هناك...!!
- . لا هنا ولا هناك يحمدان نيران شوقي إليك...!!
- . دائماً تضعني في سلّة الرغبة بكلماتك...!!
- . حين أكون معك ، لساني يلبس ثوب الشعر...!!
- . علينا أن نفكر بالرحلة ، قبل أن يداهنا الفجر...!!
- . أرجو أنهم خرجوا من البلدة...!!

- ماذا يعملون ، نقل لهم أننا مسافران...!!  
- أنهم يطاردون كل شيء يا حبيبتى...!!  
- لنمشي مع المستنقع ، هذا المكان لا مجال لمركباتهم أن تمشي فيه...!!

- هذا ما وضعته في بالي ، هو المكان الوحيد الذي ينقلنا إلى حلمنا...!!

\* \* \*

صوت:

(آآه.. بدأت أفقد ملامح الأشياء ، جسدي بدأ يتخشب ، ما هذه الغشاوة ، لماذا تظلم الدنيا ، أين أنت ، لا تتركني أموت وحدي ، ألم نتعاهد على الموت معاً ، أين هو ميثاق الوعد ، أين أنت ، تعال ، خذني معك ، أنا أموت ، لا أريد أن أموت وحدي ، لنمت معاً ، آآه.. تذكرت كلامك ، ألم تقل: (أمنيته العظيمة أن أموت بين يديك) ، يااه ، أنت حققت حلمك ، ها أنت تموت وأنا أرى موتك ، تعال ، لأحقق حلمي معك ، هذه الدنيا لا تستحق الواحد أن يعيش فيها ، دنيا بلا حب ، دنيا بلا رحمة ، آآه..خذني ، لا..لا..أنتظر أرجوك ، أنت تمشي ، أنت تطير ، آآه..من أعطاك هذه الأجنحة الجميلة ، أرجووك أعطني واحدة ، آآه..دعني أمسك قدميك ، لا..لا..لا تخف ، سأمسك بقوة ، طر بي ، أين تريد طر بي ، آآه..لا..لا..لا ترحل أرجوووووووووك ، لا تتركني أرجوووووووووك ، خذني أرجوووووووووك..



الحب الذي سكنناه في الغرفة ، سيورق وراعنا ، ربما يقررون هدمها  
انتقاماً لهروينا...!!  
- أرجوك..الفجر بدأ يقترب...!!  
- هيا...!!

\* \* \*

لقطة:

[يمشيان ، يداً بيد ، النجوم تنثر عليهما باقات من الورد ، طيور  
(الوطواط)تحف من حولهما ، غابات من البعوض تصنع مظلات  
داكنة على رأسيهما ، القمر يمشي بكامل نوره معهما ، يتوقفان  
لحظة ، يردد الليل صوت قبلة ناعمة ، ربما هي قبلة الخوف ، ربما قبلة  
ضح المعنويات والعزيمة ، تبدأ الأقدام بضرب الأرض ، مع كل خطوة  
تسكت مجموعة ضفادع عن النقيق ، قرب المعبر الغارق بين  
أحراش متشابكة ، يقفان ، يبحث الفتى عن المسلك الصحيح ،  
الفتاة تلتصق به ، هنا تنطلق رشقات رصاص قادمة من الشارع  
البعيد...!!

\* \* \*

صوت:

(آآآ.. أغثني ، لا تدعني فريسة لوحوش الدنيا ، خذني معك ،  
ما هذا ، ألم غير طبيعي يمزقني ، ما هذا ، ظلام مخيف ، لماذا  
بدءوا بسحلي ، أرجوووك لا تعدهم يمزقوني ، أرجوووووووك أبعدهم





## الفكرس

٥	مزرعة الرؤوس . . . . .
٢٧	ليسوا رجالاً . . . . .
٥٥	ما رواه عبيدال . . . . .
٧١	لا كلب ينبح بوجه مولانا . . . . .
٨٧	الذبيحة . . . . .
٩٥	عودة الهياكل . . . . .
١١٩	الليلة سيختبر حينا . . . . .



## المؤلف في سطور

١٩٥٩ - جلولاء - ديالى - العراق

قاص وروائي وكاتب مسرحي ومقال..

عضو اتحاد الأدباء والكتّاب/العراق منذ ١٩٩٥

### صدر له:

(١) هواجس بلا مرافئ (مجموعة قصصية) دار الشؤون الثقافية العامة :

٢٠٠١

(٢) ثغرها على منديل (مجموعة قصصية) دار ناجي نعمان - لبنان - ٢٠٠٨

(٣) بينما نحن..بينما هم (مجموعة قصصية) دار الينابيع - دمشق - ٢٠١٠

(٤) الحزن الوسيم (رواية) دار الينابيع - دمشق - ٢٠١٠

(٥) بقايا غبار (مجموعة قصصية) دار رند - دمشق - ٢٠١٠

(٦) بعل الفجرية (رواية) دار - الكلمة - مصر - ٢٠١٠

(٧) خوذة العريف غضبان (خمس مسرحيات) دار - رند - دمشق - ٢٠١١

(٨) قفل قلبي (رواية) دار فضاءات - عمّان - ٢٠١١

### جوائز:

- المرتبة الثالثة عام ١٩٩١ عن قصة (كرنفال للشهيد).

- المرتبة الأولى عام ٢٠٠٣ عن قصة (يوم اغتالوا الجسر).

- جائزة الإبداع عن المجموعة القصصية (ثغرها على منديل)

- ضمن مسابقة ناجي نعمان الثقافية الدورة الخامسة ٢٠٠٧ لبنان.
- المرتبة الأولى عام ٢٠٠٨ عن قصة (مزرعة الرؤوس) في مسابقة (مركز النور- السويد).
  - المرتبة الثانية عام ٢٠١١ عن رواية (أولاد اليهودية) مؤسسة الكلمة - نغم - جمهورية مصر العربية (جائزة - نجيب محفوظ للرواية والقصة) الدورة الثانية.
- [..عضو فخري في مؤسسة ناجي نعمان/لبنان/]